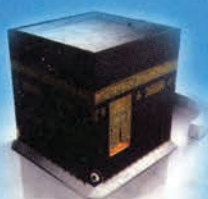


كونوا واحدا لا اثنين .. فالفتنة لا تبقي ولا تذر !!

رفع البلاء
بالتوبة إلى الله !!



موقف الغافلين من
الأحداث الجارية

لا تسأل عن هلاك ..
سل عن نجا !!

النور

وأذن في الناس بالحج

الحج دروس وعبر



فاعلم أنه لا إله إلا الله

صاحبة الامتياز

جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس مجلس الإدارة

د. عبد الله شاكرا الجنيدي

المشرف العام

د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية

جمال عبد الرحمن

معاوية محمد هيكمل

د. مرزوق محمد مرزوق

التحرير

٨ شارع قوطة عابدين - القاهرة

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧، فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني

MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير،

GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧

ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

المركز العام،

هاتف: ٢٣٩١٥٥٦٦-٢٣٩١٥٥٦٦

WWW.ANSARALSONNA.COM

بشرى سارة

تعلن إدارة المجلة عن رغبتها في تفعيل التواصل بينها وبين القراء في كل ما يتعلق بالأمور الشرعية لعرضها على لجنة الفتوى ونشرها بالمجلة على البريد الإلكتروني التالي: q.tawheed@yahoo.com

السلام عليكم

رفع البلاء بالتوبة إلى الله

مما لا شك فيه أن هناك موجة من البلاء (تسونامية) تجتاح العالم الإسلامي أجمع، ومما لا شك فيه أيضًا أن الله تعالى في ذلك حكمة لا نعلمها.

لكن الثوابت التي علمناها من ديننا أن «**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ**»، وكذلك فإن الذنوب سبب عظيم لوقوع الابتلاءات والمصائب؛ «**لِيَذِقَ الْمُذْنِبُونَ أَلْوَنَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**» [الروم: ٤١]؛ فهل فكر المذنبون أن يرجعوا؟!

وكذلك عرفنا أن البلاء يُرفع بالتوبة، فإذا كان البلاء عامًا فيحتاج إلى توبة عامة، فهل سيتوب الخاصة والعامة؟!

ومما علمناه أيضًا من ديننا أن الله تعالى قال: «**فَاخَذْنَاهُمْ بِالْأَسْوَءِ وَالْأَفْوَءِ لَعَلَّهُمْ يَفْضَحُونَ**» [الأنعام: ٤٢]، فهل حصل التضرع العام بالصورة التي تعدل البلاء العام كي تكون سببًا في رفعه؟!

الأصعب من ذلك كله أن ننظر إلى تلك البلاءات والمصائب نظرات سياسية وأرضية واجتهادية بعيدًا عن الشريعة الربانية والسيرة النبوية والقياسات الشرعية، بل تبني الحلول على أوهام وظنون، فبذا وقع البلاء والداء وفقدنا الدواء.

ويا للحسرة!! حينما يصف الدواء أحد الفرنسيين النصراني وهو يصف التراث النبوي قائلًا: كل سؤال له عندك يا ابن عبد الله جواب، وكل مشكلة مهما استعصت وتعمقت وجدنا لها في تراثك يا ابن عبد الله حلاً!!

التحرير

تقدم للقارئ كرتونة كاملة تحتوي على ٤٠ مجلدًا من مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٠ سنة كاملة

مفاجأة
كبرى

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني

حسين عطا القراط

سكرتير التحرير

مصطفى خليل أبو المعاطي

التنفيذ الفني

أحمد رجب محمد

محمد محمود فتحي



ثمن النسخة

مصر ٢٠٠ قرشاً ، السعودية ٦ ريالات ، الامارات ٦ درهم ، الكويت ٥٠٠ فلس ، المغرب دولار أمريكي ، الاردن ٥٠٠ فلس ، قطراً ٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا ٢ دولار ، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٣٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون

٢- في الخارج ٢٥ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودي أو مايعادلها.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الاسلامي فرع القاهرة . باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة - حساب رقم ١٩١٥٩٠/

السنة الثانية والأربعون

العدد ٥٠٣ ذو القعدة ١٤٢٤

فيا هذا العدد

- ٢ افتتاحية العدد: الرئيس العام
- ٦ كلمة التحرير: رئيس التحرير
- ١٠ باب التفسير: د. عبد العظيم بدوي
- ١٤ باب الاقتصاد الإسلامي: د. علي السالوس
- ١٧ باب السنة: د. مرزوق محمد مرزوق
- ٢١ درر البحار: علي حشيش
- ٢٣ منبر الحرمين: علي عبد الرحمن الحذيفي
- ٢٥ ملف العدد
- منهج النبي في تعليم أمته خلال رحلة الحج
- ٢٦ عبده أحمد الأقرع
- ٢٧ من روائع الماضي: الشيخ عبد العزيز بن باز
- ٣٠ الحج دروس وعبر: د. نهار العتيبي
- كيف يؤدي المسلم مناسك الحج والعمرة
- ٣٣ الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين
- ٣٦ واحة التوحيد: علاء خضر
- ٣٨ فتاوى الحج والعمرة
- موقف الغافلين من الأحداث الجارية
- ٤١ المستشار / أحمد السيد علي
- ٤٤ دراسات شرعية: متولي البراجيلي
- ٤٧ القصة في كتاب الله: عبد الرزاق السيد عيد
- ٤٩ باب السيرة: جمال عبد الرحمن
- تحذير الداعية من القصص الواهية:
- ٥٣ علي حشيش
- المذهب الوسطي لأبي الحسن الأشعري في توحيد
- الصفات: د. محمد عبد العليم الدسوقي
- ٥٧ التربية الإيمانية: د. أحمد فريد
- ٦١ أكل الحلال وصلاح الأبناء:
- ٦١ عبد العزيز مصطفى الشامي
- لا تسأل عن هلك: أسامة سليمان
- ٦٧ باب التراجم: صلاح نجيب الدق
- ٦٩

منفذ البيع

الوحيد بمقر

مجلة التوحيد

الدور السابع

٧٥٠ جنيهاً شمع الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات
داخل مصر ٢٦٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن

التوزيع الداخلي: مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة المحمدية

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا

نبي بعده، وعلى آله وصحبه، وبعد:

فإن الأمن نعمة ربانية، وسعادة دنيوية وأخروية، وهو من الأسس التي يقوم عليها تقدم الأمم ورفي الشعوب، وللأسف الشديد غاب الأمن في كثير من المجتمعات اليوم- كما هو مشاهد وواقع-، وكأنه الأصل الذي يجب أن تحيا عليه الشعوب، والمتأمل في شريعة الإسلام يدرك أهمية الأمن، ويعلم أنه فريضة شرعية، وضرورة حياتية، وقد ذكر القرآن الكريم دعوة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام- ربه أن يجعل مكة بلداً آمناً، فلا يُرعب أهله، ويكثر خيره ورزقه، حتى يفد الناس إليه ويحصل الاستقرار فينتشر الأمن بسبب ذلك، قال الله تعالى: «وَلَا قَالَ لِإِبْرَاهِيمَ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ» [البقرة:

١٢٦]، وقد أجاب الله دعاءه، قال الله تعالى: «وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا» [آل عمران: ٩٧]، كما أشار سبحانه إلى فضله ونعمته على أهل مكة بالأمن الذي فقده من حولهم، كما قال الله تعالى: «أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُخَفِّطُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفُلَا يَنْطِلُّ يُؤْمِنُونَ وَنِعْمَةَ اللَّهِ يَكْفُرُونَ» [العنكبوت: ٦٧]، قال الشيخ الشنقيطي- رحمه الله- في هذه الآية: «امتن الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة على قريش بأنه جعل لهم حرماً آمناً، يعني حرم مكة، فهم آمنون فيه على أموالهم ودمائهم والناس الخارجون عن الحرم يتخطفون قتلاً وأسراً». [أضواء البيان ٤٧١/٦].

وقد وردت أحاديث كثيرة تدل على أن الله تعالى حرم مكة قبل خلق السماوات والأرض، ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن حمل السلاح فيها، كما في حديث جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يحل لأحد أن يحمل بمكة السلاح». [مسلم: ١٣٥٦].

كما تفضل الله تبارك وتعالى على الصحب الكرام بنعمة الأمن عند مقابلة الأعداء، فثبت بذلك قلوبهم وأقدامهم، وصرف عنهم الخوف والسهرة الذي أرهقهم، كما قال الله تعالى في غزوة بدر: «إِذْ يَفْشِكُمُ الْعَاسُ أَمْنًا مِنْهُ وَنَزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ يَطْهَرُكُمْ بِهِ وَيُذْهِبُ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَثَبَّتَ بِهَ الْأَقْدَامَ» [الأنفال: ١١]، وقد فعل الله تعالى لهم ذلك أيضاً يوم أحد، كما قال جل ذكره: «ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنًا مُعَاسًا يَفْشَنُ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ»

افتتاحية العدد

الأمن فريضة شرعية ونعمة ربانية

بقلم / الرئيس العام

د / عبد الله شاكر الجنيدي

www.sonna_banha.com



في الدنيا، فلا طمأنينة له، ولا انتشار لصدوره، بل صدره ضيق حرج لضلالة، وإن تنعم، ولبس ما شاء وأكل ما شاء، وسكن حيث شاء، فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى، فهو في قلق وحيرة وشك، فلا يزال في ريبة يتردد، فهذا من ضنك المعيشة». [انظر تفسير ابن كثير: ٢٣٣/٣].

من أسباب حصول الأمن

أولاً: سلامة المعتقد وسلامة المنهج

واستقامة السلوك، ولا يكون ذلك إلا بالتمسك بما كان عليه الصدر الأول من الصحابة ومن تبعهم بإحسان، مع ضرورة البعد كل البعد عن مسالك المخالفين من أصناف المبتدعة المخالفين لمنهج سلف الأمة

الصالحين، وقد وعد الله عباده الموحدين بالأمن والتمكين إذا عبدوا

الله وحده، قال الله

تعالى: «وَعَدَ اللَّهُ

الَّذِينَ آمَنُوا بِكُمْ

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

لَسَنَ تَخْلُقَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ

كَمَا أَسْأَلُكَ الْيَتِيمَ

قِيلِهِمْ وَيَسْكُنَ لَهُمْ دِينُهُمْ

الَّذِينَ آمَنُوا بِكُمْ وَيَسْكُنَ لَهُمْ

دِينُهُمْ وَأَمَّا يُعْبِدُونِي

لَا يَشْكُرُونَ يَ شَيْئًا» [النور: ٥٥]، ومعنى

الآية: أن الله يورث الأرض ويجعل من صدق في عبادة الله خلفاء في الأرض يتصرفون فيها تصرف الملوك في الممالك، وهذا وعد من الله بالتمكين لأصحاب الصراط المستقيم، ولا يكون هذا بوعده الله إلا للموحدين، والتاريخ الإسلامي شاهد على ذلك، فالصحابة

الكرام- رضوان الله عليهم أجمعين- حقق لهم هذا الوعد بسبب تمسكهم بهذا الدين، وسلوكهم الصراط المستقيم، وهذا لا يخفى على الدنيا بأسرها، فقد أنجز الله لهم وعده، وأظهرهم على بلاد المشرق والمغرب، وفرقوا ملك الأكاسرة والقيصرة، وصاروا إلى حال

[آل عمران: ١٥٤]، وقد حرص النبي صلى الله عليه وسلم على أمن المجتمع وسلامته بصورة متعددة- سيأتي ذكرها إن شاء الله-، غير أنه جمع متاع الدنيا في ثلاثة أمور على رأسها الأمن كما في حديث سلمة بن عبيد الله بسند حسن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من أصبح منكم معافى في جسده، آمناً في سربه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا» [صحيح سنن ابن ماجه: ٣٩٩/٢].

ويقفهم من قوله: «أمنًا في سربه» أنه مستريح البال، مطمئن النفس، وهذا من أعظم نعم الله على الإنسان، وقد وعد النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بالأمن والظهور بعد الاستضعاف، كما في حديث عدي

ابن حاتم، وفيه يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده ليطمئن الله هذا الأمر حتى تخرج الظعينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت في غير جوار أحد». [مسند أحمد: ٢٥٧/٤].

وقد اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يكون الأمن الحقيقي والسعادة الكاملة والحياة

الطيبة الهادئة في الدنيا والآخرة لمن تمسك بالشرع المطهر، ولزم الهدى الذي بعث به النبي صلى الله عليه وسلم، كما قال الله تعالى: «فَأَمَّا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فَلَا ضَيْلَ وَلَا يَشْقَى» [١٢٣] «وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ وَكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى» [طه: ١٢٣، ١٢٤]، قال الصحابي الحبر عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - في معنى الآية: «فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى»: لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، «وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ وَكْرِي» أي خالف أمري، وما أنزلته على رسول الله صلى الله عليه وسلم- أعرض عنه وتناساه وأخذ من غير هدايه، «فَأَنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا» أي: ضنكا

اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن

يكون الأمن الحقيقي والسعادة الكاملة

والحياة الطيبة الهادئة في الدنيا والآخرة لمن

تمسك بالشرع المطهر، ولزم الهدى الذي

بعث به النبي صلى الله عليه وسلم، كما قال

الله عليه وسلم



يخافهم كل من عداهم، ولا يستطيع أحد أن ينال منهم، وإذا أردنا اليوم أن يتحقق لنا ذلك، فلا بد من سلوك نفس المنهج والطريق- عقيدة صحيحة، وعبادة سليمة مستقيمة، واتباع للهيدي النبوي فحسب، وإن وقعت المخالفة لذلك، فالأمر كما قال الله في كتابه: « وَمَنْ يُخَافِ الرُّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَتُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا » [النساء: ١١٥]، وكما يؤمن الله عز وجل عباده الصالحين ويمكن لهم في الأرض في الدنيا، يحصلون بعد ذلك على قمة النعيم والأمن التام في جوار الرحمن في الدار الآخرة، كما قال الله تعالى: « الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ » [الأنعام: ٨٢]، وقد ثبت في صحيح البخاري وغيره من حديث عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم فسر الشرك في هذه الآية بالظلم مستنداً إلى قول الله تعالى: «إن الشرك لظلم عظيم»، ويبين هذا أيضاً قول الله تعالى: « وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَفْعَلُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ » [يونس: ١٠٦].

ثانياً: تطبيق الحدود الشرعية على من يستحقها، وعدم المحاباة والمجاملة والتهاون في ذلك، لأن من الناس من لا يردعه الإيمان والتقوى، فتتزعزع نفسه إلى ارتكاب الفواحش والمنكرات، أو الاعتداء على الحرمات، فشرع الله الحدود لردع تلك النفوس عن جرائمها، ولتحصيل أمن الأفراد والمجتمعات، وأصبح من الإيمان تطبيق هذه الأحكام، وقد طبقها صلى الله عليه وسلم على أتم وجه، ونهى عن الشفاعة فيها لإسقاطها وتعطيلها، وغضب صلى الله عليه وسلم على جبه أسامة بن زيد حين تقدم للشفاعة في امرأة سرقت- كما في

الصحيحين وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها أن قریشاً أتهمهم المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يجترئ عليه إلا أسامة حب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أتشفع في حد من حدود الله؟ ثم قام فخطب فقال: يا أيها الناس إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وإيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت محمد يدها. [البخاري: ٦٧٨٨، ومسلم: ١٦٨٨].

وقد دل الحديث على أنه يجب على المجتمع أن يقيم الحدود المشروعة وأن يقطع الوساطة والشفاعة فيها، لأن ذلك من أسباب استتباب الأمن، وأن إسقاط الحدود وعدم إقامتها كان سبباً في هلاك بني إسرائيل، وقد ذكر ابن حجر رحمه الله فوائد عظيمة تؤخذ من هذه القصة منها: منع الشفاعة في الحدود، وترك المحاباة في إقامة الحد على من وجب عليه ولو كان ولداً، أو قريباً، أو كبير القدر والتشديد في ذلك والإنكار على من رخص فيه، أو تعرض للشفاعة فيمن وجب عليه. [فتح الباري ٩٥/٢، ٩٦].

ثالثاً: الاعتراف بنعم الله علينا، والتحدث بها وشكر الله عليها، وذلك يكون بطاعته والتزلف بين يديه والعمل على ما يرضيه، قال الله تعالى: « وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ » [إبراهيم: ٧]، ومفهوم الآية: أن من اشتغل بشكر نعم الله زاده الله من نعمه ومن ذلك نعمة الأمن، وقد جاءت هذه الآية بعد أن ذكر الله منته على قوم موسى بإنجائهم من فرعون وبطشه، وفي هذا ترغيب في شكر النعم

إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ سَبَابِ حُصُولِ الْأَمْنِ
سَلَامَةُ الْمُتَّقِ وَالشُّجْرُ ، وَالْإِسْقَاطُ
الْأَمْنُ ، وَالْإِحْكَامُ إِلَى شَرِيعَةِ
رَبِّ الْبَرِيَّةِ ، ثُمَّ الْاعْتِرَافُ بِنِعَمِ
اللَّهِ حَاطَا بِهَا فِي سَلَامَةٍ كَالِه .



عَمْرٍو» [النساء: ١٤٠]، كما أُمِنَ الإسلام

المال الذي جعله قياماً لحياة بني الإنسان

ومعيشتهم وحرّم الاعتداء عليهم، أو التعامل

فيه بالباطل، قال الله تعالى: «يَتَأْتِيهَا الذِّبَرُ ؕ ءَامَنُوا

لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَتْ

مُحْكَمَةً عَنِ تَرَاضٍ بَيْنَكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ

بِكُمْ رَحِيمًا» [النساء: ٢٩]، كما أُمِنَ المجتمع من

أسباب الفوضى والشقاق والنزاع، فأوجب طاعة

ولاة الأمور في المعروف، وذلك لاستتباب الأمن

واستقرار المجتمع من أسباب الفوضى والشقاق

والنزاع، فأوجب طاعة ولاة الأمور في الأمور

في المعروف، وذلك لاستتباب الأمن واستقرار

البلاد والعباد، قال الله تعالى: «يَأْتِيهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ»

[النساء: ٥٩]، إذ بالولاة-

بفضل الله- تحقن الدماء

وتصان الأعراض، كما

أُمِنَ الإسلام المجتمع من

المنكرات، فنهى عن

إشاعة الفاحشة

حتى تنطفئ ولا

تظهر، قال الله

تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ

يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي

الْبِلَادِ ؕ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ؕ وَاللَّهُ يَعْلَمُ

وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» [النور:

١٩]، كما حذر المنافقين من الثروة

بالكلام والإرجاف، فقال الله تعالى: «لَئِنْ

لَمْ يَنْدَ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ

فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُحَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا

فَلِيلًا» [الأحزاب: ٦٠]، أسأل الله تعالى أن

يسلمنا وبلادنا من كل سوء ومكروه، وأن

يبسط الأمن وينشره في البلاد والعباد، وأن

يجنبنا الفتن والفواحش ما ظهر منها وما

بطن.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد

وآله وصحبه.

لاستمرارها وزيادتها. ولأهمية الأمن في دنيا

الناس سلكت الشريعة الإسلامية مسالك متعددة

لحصوله وتحقيقه في مجتمع البشر، وهذه منقبة

عظيمة للدين الخاتم، ومن هذه المسالك: أن أُمِنَ

الإسلام النفوس البشرية من الاعتداء عليها، وقد

عظم الله- تبارك وتعالى- أمر الدماء بصورة

عامة في كتابه، ويكفي أنه حمل ابن آدم الأول

الذي سن القتل في البشرية وقرر أن أي نفس

تقتل بغير حق، كما قال الله تعالى معقبا على

قتل أحد ابني آدم لأخيه: «مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا

عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ

فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا

فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا» [المائدة: ٣٢]،

كما أُمِنَ الإسلام العقل الذي هو مناط

التكليف، فحرم ما يؤدي

إلى ضياعه أو فساده

واختلاله، وشرع حدا لمن

يعتدي على العقل بشرب

خمر ونحوه، وما ذاك

إلا لأن العقل مناط

التكليف، وخطاب

الله تعالى لا يتوجه

إلا للعقلاء، قال الله

تعالى: «وَيْلٌكَ الْأَمْثَلِ

نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا

إِلَّا الْعَاكِلُونَ» [العنكبوت:

٤٣]، والمعنى: أن الأمثال

المضروبة لا يفهمها ويعلمها إلا أصحاب

العقول، ومن هنا جاءت أحاديث النبي صلى

الله عليه وسلم برفع التكليف عن فقدوا مناط

التكليف، كما في حديث علي وعمر- رضي الله

عنهما- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

«رُفِعَ الْقَلَمُ: عَنِ الْمَجْنُونِ الْمَغْلُوبِ عَلَى عَقْلِهِ حَتَّى

يَبْرَأَ، وَعَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ

حَتَّى يَحْتَلِمَ». [صحيح الجامع: ٣٥١٢]، كما

نهى الإسلام المسلم أن يصغي للأفكار المنحرفة

الهدامة والآراء المضلة ليحفظ عقله ودينه من

فساد المفسدين وضلال المضلين، قال الله تعالى:

«وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَةَ اللَّهِ يَكْفُرُ

بِهَا وَيَسْتَهْزِئُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ

ولأهمية الأمن في دنيا الناس

سلكت الشريعة الإسلامية مسالك متعددة

لتحقيق ذلك في المجتمع، ومن

هنا وجوب طاعة أولياء الأمور

في المعروف، ثم جمع الكلام

وتصان الأعراض.

الحمد لله ذي الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة، أحاط علمه بكل شيء فلا تخفى عليه خافية، مالك الملك يؤتي الملك من يشاء ويبزر من يشاء، ويذل من يشاء، بيده الأمر وهو على كل شيء قدير، وبعد:

فإن الله سبحانه قد جعل البلاء والمصائب اختباراً وامتحاناً وتمحيصاً للناس، قال سبحانه: «وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَكَثِيرٌ الْقَصِيرُونَ» (١٥٦) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٧) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ [البقرة: ١٥٥-١٥٧]، وقال جل وعلا: «وَيَبْلُوَكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَفَتْنَةٍ وَإِنَّا تَرَجَعُونَ» [الانباء: ٣٥]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ حَتَّى الشُّوْكَهَ يُشَاكِهَهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ» [أخرجه البخاري ومسلم]. فأتقوا فتنة لا تبقى ولا تذر!! فمعظم النار من مستصغر الشرر!!

أين حزمة الدماء؟

المشهد عصيب، فلا زالت الدماء تسيل، والأرواح تُزهِق على أرض الكنانة أرض مصر المباركة، إنها دماء مصر في كل مكان، لا إله إلا الله، إنها فتن كقطع الليل المظلم، لا شك ولا ريب كل فتنة أرق وأهون من التي قبلها، فتن قسمت الناس، وجعلتهم فرقاً واحزانياً، قست القلوب، وتعطلت العقول، وأزهقت الأرواح، ودخلت البلاد في مرحلة ينظر إليها القاصي والداني بعين العطف والشفقة، أتلك هي مصر؟ وهؤلاء هم أبناءؤها؟!

وخيم الحزن على الجميع وهم يرون دماء المصريين صارت رخيصة بين أبنائها، وقد نسوا قول الله عز وجل: «وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَعَظِمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَتُهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً» [النساء: ٩٣]، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو أن أهل السماء وأهل الأرض اشتروا في دم مؤمن لأكبههم الله في النار» [أخرجه الترمذي ١٣٨٩ وصححه الألباني].

وهذا يوضح بشاعة عقوبة قتل المؤمن بغير حق لكل من كان مشاركاً في هذا الجرم البشع، وأرشد صلى الله عليه وسلم إلى أن المؤمن يظل في سعة من دينه، وينتفع بصالح الأعمال حتى إذا أوبق نفسه بالقتل المحرم ذهبت تلك السعة، وضاعت عليه صالح أعماله، فلم يف بهذا الوزر العظيم، فقال صلى الله عليه وسلم: «لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً» [صحيح البخاري ٦٨٦٢].

وشدد الله سبحانه في عقوبة من يعيث في الأرض فساداً بقطع الطريق وترويع الأمن وسرقتهم وقتلهم، فقال سبحانه: «إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي



كونوا واحداً

لا اثنين..

فالفتنة لا تبقى

ولا تذر!!



رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@HYAHOO.COM

الْأَرْضَ فَسَادًا أَنْ يَنْصَلُّوا أَوْ يَكْتُمُوا أَوْ تَقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ
وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يَنْفَعُوا مِنْ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ
خِزْيٌ فِي النَّفْسِ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ [المائدة: ٣٣]

تجددوا لله يصلح ذات بينكم

يا أبناء مصر: تجددوا لله عسى أن يمحو الله
الخطايا ويغفر الذنوب، ويؤلف القلوب، ويصلح
ذات البين، واصبروا على أمر قد يسوءكم عسى
الله أن يبدلنا بعد الضيق فرجاً، وبعد العسر يسراً،
وبعد الهوان عزة، وبعد التفرق تجمعاً يوثقه رباط
الدم المصري، الدم الذي هان بيننا، وتقطعت أمامه
إشلائنا، بأيدي بعضنا، ومثل بالجثث ومنهم من
أحرق، فإلى الله المشتكى!!

ومع ذلك فالرجاء عظيم في الله سبحانه أن يعز
كل مظلوم وينصره، وينتقم من كل من أضمر سوء
أو كرهاً وحقدًا على مصر وأهلها، أو تسبب في
إيذائهم، انظروا إلى ما خلفته الأيام الماضية!! فقد
هان الأخ على أخيه، وسالت الدماء، وأصبحنا في
الشوارع والميادين وكأننا في موقعة حربية، تاهت
معها العقول، وظلمت النفوس، وخيم الحزن على
الصدور، فما هذه هي مصر، ولا هؤلاء هم شعبها،
فماذا حدث؟! فلنفق قبل فوات الأوان، فالمصائب
جل، والفتنة لا تبقى ولا تذر!

قست القلوب وتعطلت المشاعر

عذراً إلى ربنا، فقد قست القلوب، وما زالت تقامر
نزعة الشهوة، والأرواح تنازع توبة الحسرة،
والعقول مغيبة عن إدراك الحقيقة، أحسن الله
عزائكم وغفر لميئتم، عزائنا في لحظات فتئت
أماننا، فنكصنا على أدبارنا، وإبينا سوى المكث
في مغبة الدنيا الفانية، وعميت علينا الأنبياء،
وأطرقت الشهوات في جدران الأنفاس، وبين رذاهات
العقول المقتولة، «حَتَّىٰ إِنَّمَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ
وَوَضَّحَتْ أَهْلَهَا لَظَنَّتْ أَنَّهُمْ قَدْ زُفِرَتْ عَلَيْهِمْ أَثَرُهَا لَيْلًا أَوْ
نَهَارًا» الآية [يونس: ٢٤].

عزائنا في عيون أجدبت من دموع الحياة، وأقفرت
من تزييق القلوب، فيا من تعطلت مشاعرهم، فما
زال الذنب يلازم نفوسنا التي أقمنا عليها مراسم
الدفن، والذل يطبق فكاهة على هممنا الواهية،
وأمالنا الكاذبة، أرف الرحيل: وقد عميت البصائر
عن التحصيل، وأبت إلا القليل، واحسرتنا على ما
فرطنا في جنب الله، فلا الدهر يعظك، ولا الأيام
تنذكرك، والساعات تعد عليك، والأنفاس تعد منك.
يا ابن آدم: لو رأيت ما بقي من أجلك، لزهدت في
طول أملك، ولرغبت في الزيادة في عملك، وإنما

يا أبناء مصر: تجددوا لله عسى أن
يمحو الله الخطايا ويغفر الذنوب،
ويؤلف القلوب، ويصلح ذات البين،
واصبروا على أمر قد يسوءكم عسى
الله أن يبدلنا بعد الضيق فرجاً، وبعد
العسر يسراً، وبعد الهوان عزة، وبعد
التفرق تجمعاً .

يلقاك ندمك إذا زلت قدمك، وأسلمك أهلك وحشمك،
وباعدك الولد القريب ورفضك الولد والنسيب، فلا
أنت إلى دينك عائد ولا في حسناك زائد، لله در
أقوام أطار ذكر النار عنهم النوم، فقد قست القلوب
وصارت كالحجارة أو أشد قسوة، والله سبحانه قد
توعد أصحاب القلوب القاسية، فقال عز وجل: «قَوْلٌ
لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَوْلَيْتَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» [الزمر: ٢٢].

عتاد الشدائد الصبر

كونوا واحداً لا اثنين، فأنتم أهل مصر، وأنتم
شعبها، ولكل أمر عتاد وسلاح، وإن عتاد الشدائد
الصبر، عتاد يبعث على الطمانينة، ترقب به النفس
المؤمنة بلوغ الأمان، وقد أصبحنا قوماً أذلة بعد
عزة، إنها مصر وأنتم أبناؤها، فهل تستحق منكم
مصر كل هذا الحمق؟! هل تستحق منكم كل هذه
القسوة؟! وقد ابتلينا بفتن ما أنزل الله بها من
سلطان، فاحذروا الفتنة فإنها لا تبقى ولا تذر!!
هل تستحق منكم مصر كل هذا التجبر والعدوان؟!
هنا على أنفسنا فهنا على غيرنا، وأصبحنا كلاً
مباحاً مستباحاً من الجميع، أصبحنا ضعافاً بعد
قوة، يكيل لنا الأعداء ما أضمره في نفوسهم
الخبیثة، ينتظر العدو لحظة ضعف وفرقة وهو
يرى ضعفنا بعد عزتنا وقوتنا!! فهلا نصبر
على بعضنا؟! فهلا نزيل الشحناء من نفوسنا؟!
والبغضاء من قلوبنا، ونرجع إلى الله فنطلب منه

وكل من راقب ربه في نفسه ومن حوله واستحضر خشية الله سبحانه، وحاسب نفسه وألزمها بما يقربه إلى الله، ويباعده من الذنوب والآثام صلح باله، وحسن حاله وماله، وصدق الله: «وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ» [النازعات: ٤٠-٤١]. فاحذروا الفتنة وانتبهوا فالفتنة لا تبقي ولا تذر!!

ضرورة الإصلاح بين المسلمين

كونوا واحداً لا اثنين، فمهما حاول أعداء الإسلام ومهما سعوا في نشر أنواع الفتن والشر بين المسلمين، فلن يستطيعوا أن يطفئوا نور الله، يقول جل جلاله: «يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَقْوَمِهِمْ وَأَلَّاهُم مِّنْ نُورِهِ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» [الصف: ٨]. وعن تميم الداري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز به الإسلام، وذلاً يذل الله به الكفر». [أخرجه أحمد والبيهقي وصححه الحاكم والألباني].

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها». [أخرجه مسلم في صحيحه]. ويقول صلى الله عليه وسلم: «ما تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس». [أخرجه البخاري ومسلم].

ما أحوج الأمة في زمن مُيِّعت فيه الحقائق الشرعية، وضيِّعت فيه الثوابت المرعية في مسارات فكرية مسمومة، ومصطلحات شيطانية مذمومة، واجتهادات عقيمة، وآراء سقيمة لا تتفق مع الدين الحنيف، ولا مع العقل الحصيف، ما أحوجها في هذا الوقت إلى تصدر العلماء الربانيين للمشهد كله، وأن يتقوا الله، ويقولوا قولة الحق بعد دراسة وتمحيص، ومراجعة وإتقان، ومراجعة لنصوص الكتاب والسنة، وما أجمع عليه سلف الأمة في قضاياها ومشكلاتها المعاصرة، لتفهم الأمة جذور المشكلات وأسباب الويلات والنكبات، وتقرأ المتغيرات، وتدفع المستجدات، وترجع إلى أهل العلم الثقات، وتنهض بالمسؤوليات والواجبات، بصدق لا يشوبه كذب، وإخلاص لا يخالطه رياء، وتجرد لا يتخلله هوى، وتوحيد لله لا يكرهه شرك ولا شك، وثقة به جل في علاه لا تهزها أراجيف المرجفين، ولا تخذيل المخذلين، حتى لا تواقع الأمة

ما أحوج الأمة في زمن مُيِّعت فيه الحقائق الشرعية، وضيِّعت فيه الثوابت المرعية، إلى تصدر العلماء الربانيين للمشهد كله، وأن يتقوا الله، ويقولوا كلمة الحق بعد دراسة ومراجعة لنصوص الكتاب والسنة، لتفهم الأمة جذور المشكلات وأسباب الويلات، وتقرأ المتغيرات، وتدفع المستجدات.

العفو على ما جنت أيدينا، فما نحن فيه ما هو إلا نتاج أعمالنا، فهو من عند أنفسنا، وبما كسبت أيدينا وما يعفو الله عنه أكثر، يتساوى في ذلك الحاكم والمحكوم، الصغير والكبير.

نقول هذا قبل أن ينفخ الخبثاء والمتربصين بمصر وأهلها، وأذبالهم في الخارج، في نار الفتنة، فتزداد اشتعالاً، وتنقطع الأوصال، وتغلظ القلوب، فانتبهوا واحذروا وكونوا واحداً لا اثنين فالفتنة لا تبقي ولا تذر!!

حاسبوا أنفسكم فالنار تحت الرماد!

حاسبوا أنفسكم، وكونوا واحداً لا اثنين، فأنتم أهل مصر وشعبها، والدنيا حقيرة زائلة، ندعو الله ألا تكون أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، والمصاب جل، والأمر جد خطير، وقوى الحقد والشر تتجمع على مصر فجأة حتى اختلط الحابل بالنابل، فليتجرد كل إنسان من عصبية، للدفاع عن تراب هذا الوطن، ندفع عنه الأخطار، ونقطع يد كل من تسول له نفسه أن يتدخل في شئون مصر، ويقلب الأوضاع الدولية عليها، أملاً في تفتيتها، وهدم كيائها، وتفكيك جيشها؛ إرضاءً لأطماعهم، وتنفيذاً لأوامرهم، إنها مصر فلا تنزلقوا وتقعوا في شرك الكائدين من المتربصين بالوطن، ينشرون الفتن بينكم، فيزيدون من تقسيمكم وتفتيتكم، فاصبروا واثبتوا، فأنتم شعب مصر، ومصر هي المستهدفة، والحلال بين والحرام بين.

الأمر المحظور، يقول جل وعلا: «وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَكْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَفُتِنْتُمْ السَّيْطَانُ إِلَّا قَلِيلًا» [النساء: ٨٣].

إن الواجب إزاء ما يقع على أرض مصر من البلايا والرزايا أن يقوى تآزر أهلها ويشد تناصرهم؛ لنصرة دينهم وحماية بلادهم، وأن يكونوا صفاً واحداً متعاضدين متساندين، متعاونين على البر والتقوى، متناهين عن الإثم والعدوان، نابذين العدا والبغضاء؛ حتى يفوتوا على العدو فرصته، وبغيته في زرع بذور التمزق وجذور التفرق، قال تعالى: «وَلَا تَدْرِعُوا أَنْفُسَكُمْ وَتُدَبِّرُوا لَكُمْ أُمُورًا لِيُفْضَلَ مِنْكُمْ لَكُمْ نَصْرٌ مِنْ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْغُرُونَ بِهِنَّ» [الأنفال: ٤٦]. وفي صحيح الإمام مسلم، قال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا؛ فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةُ الْمَالِ». [مسلم ح رقم ٣٢٣٦]. فاحذروا واتقوا فتنة لا تبقى ولا تذر.

إلى لجنة الدستور العينية!!

كونوا واحداً لا اثنين، فأنتم ممثلون لضمير الأمة فيما قد أوتمنت عليه من تكليف، بإعادة صياغة بعض مواد دستور مصر، وإننا لندرجو بإذن الله أن تكونوا متجردين تبدلون كل ما في وسعكم لتأكيد الهوية الإسلامية والثوابت الوطنية لمصر في الدستور، وتصحيح ما يجب تصحيحه، وإبذلو في ذلك ما ترضون به ربكم، وتحافظون به على هوية بلدكم وانتماء شعبكم، ونحسبكم إن شاء من الحريصين على الحفاظ على تلك الهوية، وإن مصر تحتاج في المرحلة الحالية إلى جهود المخلصين من أبنائها، وأصحاب الضمائر الحية والقلوب العامة، التي تعلم أنها ستقف يوماً بين يدي الواحد القهار الحكم العدل العليم، فقدموا ذاك المنهج الذي ارتضاه لنا الله رب العالمين.

والمرجو من الجميع أن يكونوا صفاً واحداً، فكفانا تشرذماً وتمزقاً؛ وإن الله سبحانه وتعالى إنما خلق الخلق لعبادته وحده، قال سبحانه: «وَمَا خَلَقَ الذِّكْرَ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِعِبَادَتِي» [الذاريات: ٥٦]، وشرع للناس ديناً كاملاً أمته ورضيه، وأنزل كتاباً ليحكم بين الناس به، فلا حكم للبشر إلا بشريعة خالقهم سبحانه القائل: «وَأَنِ اتَّقِ اللَّهَ يَذْهَبْ عَنْكَ مَا فِيكَ مِنَ الشَّرِّ إِنَّكُمْ أَرْسَلْتُمْ عَلَيْكُمْ قُلُوبًا لَا تَفْقَهُونَ شَيْئًا وَاللَّهُ لَظَاهِرٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» [النساء: ٦٤].

إن الواجب إزاء ما يقع على أرض مصر من البلايا والرزايا أن يقوى تآزر أهلها ويشد تناصرهم؛ لنصرة دينهم وحماية بلادهم، وأن يكونوا صفاً واحداً متعاضدين متساندين، متعاونين على البر والتقوى، متناهين عن الإثم والعدوان، نابذين العدا والبغضاء.

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمْتُ أَنَّكُمْ كَذِبُونَ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمْتُ أَنَّكُمْ كَذِبُونَ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمْتُ أَنَّكُمْ كَذِبُونَ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمْتُ أَنَّكُمْ كَذِبُونَ

وفي النهاية أقول كما قال القائل:
لبست ثوب الرجا والناس قد رقدوا
وقمت أشكو إلى مولاي ما أجد
وقلت يا عُدتي في كل نائبة
ومن عليه لكشف الضر أعتمد
أشكو إليك أموراً أنت تعلمها
مالي علي حملها صبرٌ ولا جلدُ
وقد مددت يدي بالذل مبتهلاً
إليك يا خير من مُدت إليه يد
فلا تردُّني يا رب خائبة
فبحر جودك يروي كل ما يردُ
وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تفسير سورة غافر

الحلقة الخامسة

قال تعالى: « فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِقَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (٤٦) وَإِذْ يَتَحَاوَرُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضَّعِيفَتَانِ لِلَّذِي أَسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ (٤٧) قَالَ الَّذِينَ أَسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِذْ رَأَى اللَّهُ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ (٤٨) وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ (٤٩) قَالُوا أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (٥٠) إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْخَوْفِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (٥١) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٥٢) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ (٥٣) هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ (٥٤) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ (٥٥) إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَنَّهُمْ أَنَّهُمْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرًا مَّا هُمْ بِسَالِفِينَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٥٦) لَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ » [غافر: ٤٥-٥٧]

د. عبد العظيم بدوي

إعداد

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا

نبي بعده، وبعد:

جزاء الناصحين

« فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِقَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ » [غافر: ٤٥]، وقال تعالى: « وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُورَثُ » [فاطر: ١٠].

ثم فسر الله تعالى سوء العذاب الذي حاق بهم فقال: « النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا »، أغرقهم الله في البحر، ثم عذبهم في النار، كما فعل بقوم نوح، « سَمَّا حُطِبَ عَلَيْهِمْ أَغْرُقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا » [نوح: ٢٥].

وفي الحديث: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

نعيم القبر وعذابه حق

وهذه الآية من الآيات التي يستدل بها على أن

عذاب القبر حق، لأن الله تعالى قال: «النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ» فالنار التي يعرضون عليها قبل يوم القيامة هي نار القبر، ومذهب أهل السنة والجماعة أن القبر إما روضة من رياض الجنة، وإما حفرة من حفر النار، وأن نعيم القبر وعذابه حق، وكلاهما يكون للروح والبدن معا، والله على كل شيء قدير.

والأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في نعيم القبر وعذابه كثيرة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ» متفق عليه.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَبْرَيْنِ فَقَالَ: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالْمِيمَةِ» ثُمَّ أَخَذَ جَرِيدَةَ رَطْبَةٍ، فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ، فَغَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا قَالَ: «لَعَلَّهُ يَخْفَفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَنْبَسِ» متفق عليه.

«وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ»: «أَدْخِلُوا» بفتح الهمزة، على الخطاب لزيانية النار، وقرئت بضمها «أَدْخِلُوا» على الخطاب لآل فرعون، فلما دخلوها تبرأ بعضهم من بعض، ولعن بعضهم بعضا.

عليه السلام صلى الله عليه وسلم «وَلَا يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ قِيُولَ الضَّعِيفَاتِ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُمْ مُغْنُونَ عَنْ نَصِيبِكُمْ إِنَّا كُنَّا أَهْلُ الْآلِ» (٧) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّكَ اللَّهُ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ (٨) وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزِنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ (٩) قَالُوا أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (١٠) إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (١١) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (١٢) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ (١٣) هُدًى وَذِكْرَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ (١٤) فَاصْبِرْ إِنَّكَ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَاسْتَغْفِرْ

لذُنُوبِكُمْ وَسَيَجْزِي رَبُّكَ بِالْمَعْنَى وَالْإِبْرَافِ (١٥) إِنَّ الَّذِينَ يُحَدِّثُونَ فِي عَالِيَتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِيَلْقِيهِ فَاغْنَوْا بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١٦) لَحَقَى السَّمَوتُ وَالْأَرْضُ أَكْبَرُ مِن حَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (١٧) وَمَا نَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسَوِّمَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (١٨) إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّمَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ [غافر: ٤٧-٥٩].

تخاصم أهل النار:

«وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ»: الحاجة المخاصمة، وتبادل السباب واللعان والشتم، «فَيَقُولُ الضَّعَفَاءُ الَّذِينَ كَفَرُوا تَقْلِيدًا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا» يعنون قد كفرنا برسول الله طاعة لكم، واتبعناكم على الكفر الذي دعوتونا إليه، «فَهَلْ أَنتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ» لأنكم كنتم السبب في دخولها؟ «قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ» وقد قضى سبحانه أن نكون فيها أجمعون.

وفي سورة إبراهيم عليه السلام قال الله تعالى في تخاصم أهل النار: «وَنَرَوْا اللَّهَ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعِفَاتُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهَ لَهْدً يَهْدِيكُمْ سَوَاءَ عَلَيْنَا أَجْرُنَا أَمْ صَبْرًا مَا لَنَا مِنَ مَّحْجِيٍّ» [إبراهيم: ٢١]، ثم قام الشيطان الأكبر الذي أضل الجميع: المستكبرين والضعفاء، فقتلهم أجمعين: «وَقَالَ الشَّقِيقَانِ لِمَا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ وَوَعَدُكُمْ فَخَلَفْتُمْ وَمَا كَانُوا لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» [إبراهيم: ٢٢].

فلما يئس بعضهم من بعض توجهوا بالسؤال لخزنة النار أن يشفعوا لهم عند الله في تخفيف العذاب: «وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَازِنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ» وكان هذا السؤال منهم بعد سؤالهم مالكا كبير خزانة النار أن يقضي الله عليهم بالموت فيستريحوا من العذاب، كما قال تعالى: «وَأَدَّيْتُكَ لِيَقُضِيَ عَلَيْكَ رَبُّكَ» أي ليمتنا فنستريح، فأجابهم: «قَالَ إِنَّكُمْ تَسْكُنُونَ» [الزخرف: ٧٧]، لا تموتون ولا تخرجون، كما قال

من أهل الشرك يوم أخذ على محمد وأصحابه،
لغير استدراج مني لمن أشرك بي، وكفر برسلي،
وخالف أمري - في ديار الأمم الذين كانوا قبلكم،
ممن كان على مثل الذي عليه هؤلاء المكذبون
برسولي، والجاحدون وحدانيتي، فانظروا كيف
كان عاقبة تكذيبهم أنبيائي، وما الذي آل إليه غبُّ
خلافهم أمري، وإنكارهم وحدانيتي، فتعلموا عند
ذلك أن إدالتي من أدلت من المشركين على نبيي
محمد وأصحابه بأحد، إنما هي استدراج وإمهال
ليبلغ الكتاب أجله الذي أجلت لهم. ثم إما أن يؤول
حالهم إلى مثل ما آل إليه حال الأمم الذين سلفوا
قبلهم: من تعجيل العقوبة عليهم، أو ينيبوا إلى
طاعتي واتباع رسولي. [جامع البيان (٤/ ٩٩)].

ثم بين سبحانه أن الكافرين سيندمون يوم
القيامة، وسيعتذرون إلى ربهم عن كفرهم، ولكن لن
ينفعهم الندم، ولن يقبل منهم العذر، فقال تعالى:
«يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْرِتُهُمْ».

فإن قيل: كيف الجمع بين هذه الآية وبين
قوله تعالى: «هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْفَعُونَ» (٥٥) «وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ»
[المرسلات: ٣٥ - ٣٦]، فالآية الأولى دلت على أنهم
يعتذرون، ولكن لا ينفعهم، وهذه دلت على أنه لا
يؤذن لهم أصلاً في الاعتذار؟!

فالجواب: أن يوم القيامة يوم طويل، مقداره
خمسون ألف سنة، وقد قال تعالى: «لَتَرَكُنَّ بَطْشَةً»
طَبِي [الانشقاق: ١٦]، والمعنى أنهم ينتقلون من
موقف إلى موقف، ومن مشهد إلى مشهد، ومن
مكان إلى مكان، ففي موقف يريدون أن يعتذروا فلا
يؤذن لهم، وفي موقف يؤذن لهم في الاعتذار ولا
يقبل منهم ولا ينفعهم، «وَلَهُمُ الْعَذَابُ» وهي الطرد
من رحمة الله، «وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ»، «جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا»
فَيُبْسُ الْمَصِيرُ [إبراهيم: ٣٩]، كما قال عباد
الرحمن: «رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّكَ عَذَابُهَا
كَانَ عَرَامًا» (٦٥) «إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا» [الفرقان:
٦٥ - ٦٦].

ثم يسلي الله تعالى رسوله صلى الله عليه
وسلم بتذكيره ما كان من نبا أخيه موسى عليه
السلام، وكيف نجاه الله تعالى وأهلك أعداءه،
فيقول سبحانه: «وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى» وهو
التوراة، «وَأَوْزَنَّا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ» وهو
التوراة، أبقاها الله في بني إسرائيل يتوارثونها
جيلاً بعد جيل، كما قال تعالى: «إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ

تعالى: «وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ
فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ
كَافِرٍ» [فاطر: ٣٦]، فلما يئسوا من الخروج
تمنوا يوماً يخفف عنهم العذاب فيه، وسألوا خزنة
النار أن يشفعوا لهم، فاجابوهم: «قَالُوا أَوَلَمْ تَكْ
تَأْتِيَكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَأَدْعُوا»
ثم أعلموهم ابتداء أنه لا فائدة من دعائهم، فقالوا:
«وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ».

والعاقبة للمتقين:

ثم بين الله تعالى حال الرسل واتباعهم
المؤمنين، بعدما بين حال أعداء الرسل ومكذبيهم،
فقال تعالى: «إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ»: فمهما علا
الباطل وارتفع فلا بد أن يقع، والعاقبة للمتقين،
كما وعد رب العالمين: «وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَيْفَتُنَا لِبَنِي آدَمَ
الْمُتَّقِينَ» (٧١) «إِنَّهُمْ هُمُ الْمُتَصَوِّرُونَ» (٧٢) «وَلَقَدْ جَاءَنَا هُمُ الْعَالِمُونَ»
[الصافات: ١٧١ - ١٧٣]، وقال تعالى: «وَلَقَدْ
كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ
الصَّالِحُونَ» [الأنبياء: ١٠٥]، فالصراع قائم بين
الحق والباطل، والأيام دول، ولكن العاقبة للحق
وأهله، كما قال تعالى: «وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَيِّجَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ
وَيَقَطَّ دَائِرَ الْكَافِرِينَ» (٧) «لِيُخَيِّجَ الْحَقَّ وَيَبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ
الْمُجْرِمُونَ» [الأنفال: ٧ - ٨]، ولذلك لما دالت الدولة
على المسلمين يوم أحد، وفرح المشركون، وقال
المنافقون: لو كان المسلمون على الحق ما غلبوا،
قال الله تعالى: «قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي
الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ» [آل عمران:
١٣٧].

قال أبو جعفر - رحمه الله -: يعني بقوله تعالى
ذكره: «قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ» مضت وسلفت مني
فيمن كان قبلكم، يا معشر أصحاب محمد وأهل
الإيمان به، من نحو قوم عاد وثمود، وقوم هود
وقوم لوط، وغيرهم من سلاف الأمم قبلكم، «سُنَنٌ»
يعني: مثلات، سير بها فيهم وفيمن كذبوا به من
أنبيائهم الذين أرسلوا إليهم، بإمهالي أهل التكذيب
بهم، واستدراجي إياهم، حتى بلغ الكتاب فيهم
أجله الذي أجلته لإدالة أنبيائهم وأهل الإيمان بهم
عليهم، ثم أحلت بهم عقوبتي، وأنزلت بساحتهم
نقفي، فتركتهم لمن بعدهم أمثالا وعبرا، «فَسِيرُوا
فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ»،
يقول: فسيروا - أيها الضالون، أن إدالتي من أدلت

فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكَمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّحِيمُونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ» [المائدة: ٤٤]، وقال هنا: «هُدًى وَذِكْرٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ» فخص أولي الألباب بالهدى والذكرى لأنهم الذين يتذكرون ويهتدون، أما الملا من قوم فرعون فقد كذبوا بالحق لما جاءهم، فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ» [غافر: ٢١].

«فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ» وسينصرك على قومك، كما نصّر موسى على فرعون وقومه، واستعن على الصبر بالاستغفار والتسبيح والتحميد، «وَأَسْتَغْفِرُ لَذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِبْكَارِ» فليس شيء يعين على الصبر مثل الذكر.

«إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ»: جملة «بغير سلطان أتاهم» جاءت من أجل الذم، لأن الجدل بالحجة والبرهان، وبالتالي هي أحسن، مباح، أما الجدل من غير حجة ولا برهان، فهو جدال مذموم، لا يريد صاحبه إلا إبطال الحق، لما في صدره من الكبر، ولكن الله حائل بينه وبين ما يريد، كما قال تعالى: «إِنَّ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّاكِبَرَ مَا هُمْ بِالْبَاطِلِ»، فحب العلو والظهور، وأن يكون هو الذي هنا وهناك، يقول فيسمع له، ويأمر فيطاع، منعه من اتباع الرسل على ما جاءوا به من عند الله، ولكنه لن يبلغ مراده، لأن من سنة الله أن يرفع المتواضعين، ويضع المستكبرين.

ثم أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يستعِذ بالله من شر المستكبرين، كما استعاذ موسى من قبل، فقال تعالى: «فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ» يعذك، «إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» لكل المسموعات، وهو «الْبَصِيرُ» بكل المخلوقات، فلا تخفى عليه خافية، قولاً كانت أو فعلاً.

من دلائل التوحيد والبعث:

ثم ذكر الله سبحانه وتعالى دليلاً من دلائل التوحيد، وهو أيضاً من دلائل البعث، فقال تعالى: «(١٠) فَاطْرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُوكُمْ فِيهِ»: فالله سبحانه هو الذي خلق السموات والأرض، ولم يكن له شريك في الخلق، فيجب أن يعبد وحده، ولا يشرك بعبادته أحد، لأن الشرك تسوية للمخلوق بالخالق، وهي ظلم وجور، «أَمَّنْ خَلَقَ كَمَنْ لَا يُخَلِّقُ

أَفَلَا تَذَكَّرُونَ» [النحل: ١٧]، فأنفرد به سبحانه بالخلق يوجب إفراده بالعبادة، ولذلك أنكر على الذين سواوا غيره به في العبادة، مع اعترافهم بأنفرد به بالخلق، فقال سبحانه: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَقُولُونَ أَلَمْ يَلِكُنْ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا» (١) الَّذِي نَزَلَ الرَّقَّانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَلْجَأَنَّ الْعَالَمِينَ إِلَى اللَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا» (٢) وَأَخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا» [الفرقان: ١-٣]، وأخبر سبحانه أنهم سيندمون على هذه التسوية، فقال: «وَرَبِّ الْعَالَمِينَ» (٣) وَقِيلَ لَهُمْ إِنَّ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٤) مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُكُمْ أَوْ يَنْصُرُونَ (٥) فَذَكِّرُوا فِيهَا لَهُمُ وَالْعَالَمُونَ (٦) وَجُودُوا إِلَيْسَ أَجْمَعُونَ (٧) قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (٨) تَاللَّهِ إِنَّ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٩) إِذْ سَأَلْتُمْ مَنْ رَبُّ الْعَالَمِينَ (١٠) وَمَا أَصْلَانَا إِلَّا الْخِزْيُومُونَ (١١) قَالُوا مِنَ شَيْعَيْنِ (١٢) وَلَا صَدِيقَ حَمِيمٍ (١٣) فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةٌ فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٤) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٥) وَإِنَّ رَبَّكَ لَفِي الْعَرْشِ الرَّحِيمِ» [الشعراء: ٩١ - ١٠٤].

فخلق السموات والأرض دليل على وجوب عبادة الله وحده لا شريك له، وهو أيضاً دليل على أن الله يحيي الموتى، ويبعث من في القبور، فالذي خلق السموات والأرض، وهن أكبر من خلق الناس، لا يعجز عن إعادة الناس بعد موتهم، ولذلك قال للمتكبرين البعث: «أَنْتُمْ أَنْتُمْ خَلَقْتُمْ أَنْفُسَكُمْ» [النازعات: ٢٧]، والمعنى أن السموات أكبر وأشد من الإنسان، والله بناها، فكيف تظنون أنه يعجز عن إعادةكم بعد موتكم وهذه مظاهر قدرته بادية لكم.

وقد تكرر في القرآن الكريم الاستدلال بخلق السموات والأرض على بعث الناس بعد موتهم: قال تعالى: «أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ أَجَلٌ مُّعَدَّدٌ» (١) «أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِنْهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ» (٢) [يس: ٨١]، وقال تعالى: «أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ يَبْعَثُ مِنْ خِلْفِهِمْ مُقَدِّرًا عَلَى أَنْ يَحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» [الأحقاف: ٣٣].

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

حكم أعمال البورصة



الاقتصاد الإسلامي

د. علي السائوس

إعداد

الحلقة الثالثة

مؤجلة «بيع سلم»، هل هذا حلال أم حرام؟ قلنا: إنه يوجد في الفقه بيع أجل وسلم، وتبعاً للبيع الإجل فإن هذا ممكن، وتبعاً للمسلم هذا أيضاً ممكن، ولكن يبقى هنا قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح، بدأ بيد، سواء بسواء، مثلاً بمثل، فمن زاد أو استزاد فقد أربى، الأخذ والمعطي فيه سواء» متفق عليه.

معنى هذا أن تبادل ذهب بذهب لابد أن يكون بنفس الوزن، والنقود كذلك تلحق بالذهب والفضة، ولذلك قلنا بأنه أصبح عندنا الآن أجناس كثيرة، ففي عهد الرسول صلى الله عليه عليه وسلم كان هناك جنسان: جنس الذهب وجنس الفضة، أما في هذه الأيام فإننا نجد الفضة والذهب والعملات الورقية، كل دولة لها عملة، وكل عملة تعتبر جنساً، فريال قطر جنس، ودرهم الإمارات جنس، والريال السعودي جنس، وهكذا، فيمكن التبادل «إذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم، إذا كان يداً بيد».

وقول سيدنا عمر رضي الله عنه بأنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «الذهب بالذهب، الورق بالورق» العملة الفضية - ربا إلا هاء وهاء». أي: خذ وهات [البخاري ٧٤/٣]. ولذلك كانت الفتوى الإجماعية للمؤتمر الثاني للمصرف الإسلامي بأنه لا يجوز بيع الذهب والفضة والنقود الورقية بعضها ببعض إلا مع التقابض الفوري، وأن البيع الأجل هو الربا المحرم.

ومعنى هذا أننا إذا أردنا أن نشترى سلعة، والسلعة ستأجل، أو الثمن سيتأجل، فإن هذا يمكن في غير الذهب والفضة، ولكن

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، وبعد: تحدثنا في العدد الماضي عن كيفية الشراء في البورصة، وعن صور التعامل في البورصة، وعن المربحة في البورصة،

ويذكرون مما يحدث أشياء عجيبة، يذكرون أشياء وحيلاً يلجأ إليها هؤلاء أحياناً للتلاعب بالأسعار، ولذلك فإن الأسواق المالية هذه لا يجوز لمسلم أن يدخلها بائعاً أو مشترياً؛ إلا إذا كان يريد بالفعل أن يشتري أسهماً إسلامية، وأن يتسلم الأسهم، ويدفع الثمن، أو يدفع الثمن ويتحدد موعد الأسهم، أما بيع الدين بالدين فلا يجوز.

وهنا كذلك: إذا كانت الأسهم تمثل نقوداً فمن شروط بيع النقود بعضها ببعض - وهو ما يسمى بالصرف في الفقه الإسلام - التقابض في المجلس، فلا يجوز التأجيل.

وأما بورصة السلع فلها نفس العمليات التي قلناها هناك، وأحياناً يقوم بعمليات مركبة؛ فعالم البورصة هذا عالم عجيب؛ لأنه كما قلنا نشأ بعيداً عن حضارة الإسلام، وعن أحكام الإسلام.

وهناك أنواع من البورصات تباع سلعة حاضرة بحيث إن الإنسان يشتري وتسلم السلعة ويدفع الثمن، لا شيء في هذا، ومن قبل قامت بورصات فعلاً بهذا مثل بورصة ميناء البصل، وبورصات معينة كانت تقوم بهذا البيع فعلاً، وتيسر البيع والشراء؛ لأن الكميات كبيرة فيمكن شراء كميات كبيرة أو بيع كمية كبيرة، أو جمع كمية كبيرة وبيعها ما دام الاتجاه للشراء الفعلي.

ولو فرضنا أنه اشترى معادن بالأجل، وتسلم المعادن والثمن مؤجل، أو باع المعادن والثمن مؤجل «بيع أجل»، أو تسلم الثمن والمعادن



ثبت بالنص والإجماع مدة أربعة عشر قرناً على أنه لا يجوز التأجيل أبداً بالنسبة للذهب والفضة.

وبعض الاقتصاديين أيضاً أفتوا بجواز التأجيل، فقالوا: لم تعد هناك علاقة بين الذهب وبين

النقود بعد أن ترك الدولار القاعدة الذهبية منذ عام ١٩٧٢م فأصبح الذهب ليس ثمناً، فما دام الدولار تخطى عن الذهب، فلم يعد الذهب نقداً ولا ثمناً، إنما أصبح سلعة كأي سلعة.

وهذا القول لا يصح فقهاً ولا اقتصاداً:

فمن الناحية الفقهية لا يجوز الخروج على النص والإجماع، لا يجوز أبداً، ومسألة العلة إنما هي للإلحاق لا لإخراج الأصل وإدخال الفرع، فالعلة إذا وجدت في حكم لم ينص عليه فهل نلحقه بحكم المنصوص عليه، ونخرج الحكم المنصوص عليه؟ كيف هذا؟ فقهاً كيف هذا؟

وأما من الناحية الاقتصادية فبعض الاقتصاديين الذين لم يتخرجوا عن التصدي للإفتاء، والقول بعلم أو بغير علم، قالوا: الذهب الآن يباح أن يباع مع التأجيل؛ لأنه سلعة بعيدة عن الثمنية، وإذا بحثنا وجدنا هذا القول - الذي لا يصح فقهاً - غير صحيح من الناحية الاقتصادية.

عندما يقول الاقتصادي هذا ألا يعلم مثلاً أن صندوق النقد الدولي يشترط بالنسبة لحصص الأعضاء أن يكون الربح من الذهب الخالص والباقي بالعملية المحلية؟ وأن هناك هيئات دولية كثيرة تشترط مثل هذا الشرط، حتى أوروبا الشرقية عندما ارتبطت بالروبل ربطته بالذهب وقدرته به، وإلى جانب صندوق النقد الدولي نجد بنك التنمية الآسيوي، والبنك الدولي للإنشاء والتعمير، وهيئات التنمية الدولية، والبنك الدولي للتعاون الاقتصادي لدول أوروبا الشرقية، كل هؤلاء يشترطون جزءاً معيناً من الذهب، والفرق بين الذهب وباقي العملة أن العضو المشترك في صندوق النقد الدولي له أن يأخذ

وجدنا في عصرنا من الباحثين المسلمين من قال بأن الذهب كما يجوز أن تشتريه ونقبضه يجوز مع الأجل؛ لماذا؟

قال: بالنسبة للذهب، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم جعل القبض يداً بيد في البيع لأنه كان ثمناً، والعلة هي الثمن، والأثمان في عصرنا هي النقود الورقية لا الذهب.

ولتوضيح ما يتصل بالعملة في الذهب أقول: إن الفقهاء اختلفوا في التعليل، فبعضهم قال: العلة الوزن، وقال كل ما يوزن لا بد أن يكون فيه التقابض في المجلس، فيلحق بالذهب النحاس والرصاص والحديد وغير ذلك مما يوزن، وبعضهم قال: العلة الثمنية، والفقهاء الذين قالوا بالثمنية قالوا بأن هذه العلة قاصرة، ومعنى قاصرة أنها لا تتعدى الذهب والفضة، بمعنى أن هذا الحكم قاصر على الذهب والفضة.

ولماذا إذن أدخلنا النقود؟ قالوا: ربما شارك الأصل شيء فيلحق به، ولذلك فإن المالكية قالوا بالعلة القاصرة، فلما ظهرت في عصرهم النقود النحاسية وراجت وأصبحت نقوداً، قال الإمام مالك قوله المشهور: «لو أن الناس اتخذوا الجلود حتى يكون لها سكة وعين لكرهتها أن تباع بالذهب والورق نظرة» يعني أكره أن تباع بالذهب والورق مع التأجيل، والكرهية إذا أطلقت عند الأقدمين فقد تعني التحريم.

فالجلود ذاتها لا تلحق بالذهب والفضة، ولكنها إذا أصبحت نقوداً ألحقت بالذهب والفضة، وكذا الورق الآن لا يلحق بالذهب والفضة، فإذا أصبح رiales قطرية أو سعودية أو غيرها ألحق بالذهب والفضة، لا لأنه ورق ولكن لأنه نقود، أما الذهب والفضة فالحكم باق بالنسبة لهما سواء أكانا نقوداً أم غير نقود.

ومن المعلوم في أصول الفقه أننا عندما نبحث عن العلة للقياس، فإنها إذا وجدت في فرع ألحقناه بالأصل قياساً عليه، أما الأصل فهو ثابت بالنص لا بالاجتهاد، وعلى أي حال فقد



ويمناقشته هو نفسه رجع عن رأيه وصوت مع الباقيين على هذا القرار، فعلى من قال بهذا أن يرجع إن لم يكن قد رجع؛ لأن هذه قضية خطيرة.

بعد هذا العرض السريع أقول:

إذا دخلنا في بورصة سلع لنشتري، فلنشتري بالسعر الحال، أما أن تشتري في موعد التصفية ولا سلعة تقبض، ولا ثمن يقبض هذا لا يبيحه الإسلام، وعلى هذا فلو أصبح في مقدورنا كمسلمين- ونحن نمثل أكثر من خمس العالم- لو أصبح في مقدورنا أن ننشئ بورصة إسلامية- سوقا إسلامية- لاستطعنا أن ننشئها كما كانت في الإسلام، في ظل عقود المعاملات في الفقه الإسلامي، ولا نتخطى هذه العقود. وأوضح مثل على هذا أننا عندما وجدنا المسلمين يخرجون على هذه القاعدة، ويسايرون غيرهم، ويتعاملون بمثل هذا التعامل غير الشرعي، في دولة شقيقة- وهي الكويت- وجدنا الكارثة التي حدثت في سوق المناخ: ربا وميسر، معاملات إذا أردنا أن نقومها فهي مجموعة من الربا والميسر، إلى أن تدخلت الدولة، واهتز الاقتصاد هناك، ثم لا تزال تعالج وتعاني من هذا.

إننا نحن المسلمين لا حياة لنا إلا إذا تمسكنا بكتاب ربنا عز وجل، وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم، وأما أننا لا يمكن أن ننجح إلا إذا تعاملنا كمسلمين: في الحرب، في السلم، في أي مجال، نقود الحرب كمسلمين، نبيع كمسلمين، نشترى كمسلمين، وإلا فلا خير فينا ولا في أموالنا.

نسأل الله تعالى أن يزكي نفوسنا، وأن يزكي أموالنا، وأن يقنعنا بالحلل ويغنينا به، وأن يجنبنا الحرام ويبعده عنا ويبعدنا عنه، هو نعم المولى ونعيم النصير، والحمد لله رب العالمين.

قروضا ميسرة مثل نصيبه من الذهب، وإن زاد على النصيب من الذهب يأخذ بالقروض التي يقرضها البنك.

إن أياهما أكثر ثمنية ونقدية: الذهب أم النقود إلزامية؟ ولو أن أي واحد منا عرض عليه أو على أي دولة ذهب أو نقود ورقية فأيهما يفضل؟ ولو أن النقود الورقية لم تكن إلزامية من كان يأخذها؟ فكيف إذن أخرجت الذهب وهو الأصل؟

ولذلك أعجبني هذا الإعلان عن شركة إسلامية قامت لإعادة التعامل بالدينار الذهبي والدرهم الفضي، وأرباح المشتركين ستكون بالدينار الذهبي والدرهم الفضي. وأذكر هؤلاء الاقتصاديين بأن كثيرا من بلاد العالم تحتفظ بأرصدة ذهبية بنسبة معينة من قيمة عملتها.

وأذكر للاقتصاديين والفقهاء أيضا أنه في وقت ما كانت قاعدة المدفوعات في مصر بالنحاس، بحيث كان الذهب يقوم بالنحاس، العملة كانت نحاسية في وقت من الأوقات، ومن كان عنده ذهب أو عملة ذهبية فإن قدر العملة يقدر بالنسبة للنحاس، وخسر الناس وقتها كثيرا لأن النحاس أصبح هو القاعدة، فقد كان من يملك نحاسا أفضل ممن يملك ذهباً، ومع هذا ما وجدنا فقهاء يقول: أخرجوا الذهب من النص وأدخلوا النحاس، وما وجدنا هذا، ولم يدم ذلك طويلاً حتى عاد الذهب إلى وضعه الطبيعي مرة أخرى.

ولو فرضنا أن الذهب لا يعود فعندنا نص وإجماع، لا نستطيع أن نخرج على النص ولا على الإجماع إطلاقاً.

وعلى الاقتصاديين أن يتوقفوا عن الإفتاء، وعلى الفقهاء الذين أفتوا أن يبحثوا الجانب الاقتصادي بحثاً دقيقاً، ثم عليهم أيضاً ألا يخرجوا على إجماع أو على نص.

ونحمد الله أن الفتوى التي صدرت في المؤتمر الثاني للمصرف الإسلامي صدرت بالإجماع، مع أن هناك من حاول أن يثير مسألة الذهب وأنه أصبح سلعة عادية،

في ديننا اليسر



د. مرزوق محمد مرزوق

اعداد/

فائدة على التخریج:

تفرد البخاري دون مسلم بتخریج هذا الحديث، وأخرج مسلم طرفاً منه بسنده عن أبي هريرة رفعه: « قَارِبُوا وَسَدُّوا، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُو أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْتَ؟ قَالَ: وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ »

ثانياً: رجال الإسناد

وهم خمسة:

الأول: عبد السلام بن مطهر الأزدي البصري، روى عن شعبة وجريير بن حازم، وروى عنه البخاري وأبو داود وغيرهما، ثقة توفي ٢٢٤. (انظر: الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، لأبي عبد الله الذهبي)

الثاني: عمر بن علي بن عطاء، بصري أصله واسطي، ثقة وكان يدلس تدليساً شديداً، من الثامنة، مات سنة تسعين وقيل بعدها. (تقريب التهذيب لابن حجر (١/٤١٦)، ١٨/ دار الرشيد، تحقيق: محمد عوامة).

الثالث: حماد بن عمار، بفتح الميم وسكون العين المهملة، حماد بن معن بن نضلة الغفاري الحجازي، ابن حبان في ثقافته، روى له البخاري، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه. (انظر: تهذيب الكمال للحافظ المزي (٢٨/٣٤١)، ١٨/ مؤسسة الرسالة، تحقيق: د. بشار عواد معروف).

الرابع: سعيد بن أبي سعيد، واسم أبي سعيد: كيسان، المقبري، مدني تابعي ثقة. (انظر: معرفة الثقات للعجلي (١/٣٩٩)، ١٨/ مكتبة الدار، تحقيق: عبد العليم عبد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه وبعد:

روى الإمام البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه قال: «حدثنا عبد السلام بن مطهر قال: حدثنا عمر بن علي عن معن بن محمد الغفاري عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدُّوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشُرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغُدُوءِ وَالرُّوحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الذَّلْجَةِ».

أولاً: التخریج

(صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر (١/ ٢٣)، ط٣/ دار ابن كثير، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا).

(سنن النسائي (المجتبى)، كتاب الإيمان وشرائعه، باب الحياء، (٨/ ١٢١)، ط٢/ مكتب المطبوعات الإسلامية، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة)، وزاد النسائي: ويسروا.

(صحيح ابن حبان، كتاب البر والإحسان، باب ما جاء في الطاعات وثوابها، (٢/ ٦٣)، ط٢/ مؤسسة الرسالة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط).

(شعب الإيمان للبيهقي (٣/ ٤٠١) رقم (٣٨٨١)، ط١/ دار الكتب العلمية، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول).

(مسند الشهاب لأبي عبد الله القضاعي (٢/ ١٠٤) (رقم ٩٧٦)، ط٢/ مؤسسة الرسالة، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي).

والجواب عن الثاني: أن سماع معن عن سعيد كان قبل اختلاطه، ولو لم يصح ذلك عند البخاري لما أودعه في كتابه الذي سماه (صحيحاً). (انظر: عمدة القاري (١/ ٢٣٦).

رابعا: شرح الحديث

١- قوله: «إن الدين يسر»: أي دين الإسلام ذو يسر في شرائعه جميعاً. (انظر: فتح الباري (٩٤/١).

٢- قوله: (ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه): «يشاد» من المشادة وهي المغالبة من الشدة، وقوله: «إلا غلبه» أي: غلبه الدين، وعجز ذلك المشاد عن مقاومة الدين لكثرة طرقه. (انظر: جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير، ط/ مطبعة الملاح، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط - التتمة تحقيق بشير عيون) (والمعنى: لا يأخذ أحدكم بالأصعب، ويترك الأيسر إلا غلب الدين عليه، وعجز ذلك المتعمق، وانقطع عن عمله كله أو بعضه).

٣- قوله: (فسددوا) من التسديد، وهو: التوفيق للصواب، وهو السداد والقصد من القول والعمل من غير تفريط ولا إفراط. (انظر: عمدة القاري (١/ ٢٣٨).

قوله: (وقاربوا): معناه إن لم تستطيعوا الأخذ بالكل، فاعملوا ما يقرب منه؛ فإنكم لن تبلغوا النهاية في العبادة. (عمدة القاري (١/ ٢٣٨).

٤- قوله: (وأبشروا): أي بالثواب على العمل وإن قل، والمراد تبشير من عجز عن العمل بالأكمل بأن العجز إذا لم يكن من صنيعه لا يستلزم نقص أجره. (انظر: فتح الباري (١/ ٩٥)).

٥- قوله: (واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة):

استعينوا: (من الاستعانة وهي طلب العون) على مداومة العبادة بإيقاعها في الأوقات المنشطة. والغدوة: بالفتح السير أول النهار. والروحة: بالفتح السير بعد الزوال.

العظيم البستوي).

وقال الإمام العيني: «قال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث، ولكنه كبر وبقي حتى اختلط قبل موته». (انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١/ ٢٣٦)، ط/ دار إحياء التراث العربي).

الخامس: أبو هريرة (الصحابي الجليل رضي الله عنه).

فوائد ولطائف على إسناد هذا الحديث:

منها أن فيه التصريح بالتحديث والعنونة كما هو ظاهر في الإسناد، ومع هذا فهو صحيح، وسيأتي الجواب عن العنونة.

ومنها: أن رواته ما بين حجازي ومدني وبصري كما سبق بيانه في الكلام على رجاله، مما يدل على بذل علماء الحديث ورحلتهم في طلبه، وأن الله حفظ بهم السنة النبوية المطهرة.

ومنها: أن فيه رواية مدلس شديد بعن، ولكنه محمول على ثبوت سماعه من جهة أخرى، (وكل ما كان في الصحيحين عن المدلسين بعن، فمحمول على سماعهم من جهة أخرى، مما يدل على أنه ليس كل مدلس تترك روايته). (انظر: عمدة القاري (١/ ٢٣٦).

ثالثاً: بيان درجة الحديث

الحديث صحيح بشهادة إمام المحدثين البخاري، وإن كان في ظاهره علتان:

١- أنه رواية مدلس بالعنونة (عمر بن علي رحمه الله).

٢- أنه رواية معن عن سعيد، وسعيد رحمه الله كان قد اختلط في آخر عمره.

والجواب عنهما بما يلي:

الجواب عن الأول: أن عمر بن علي - رحمه الله - صرح بالسماع من طريق أخرى، فقد رواه ابن حبان في صحيحه من طريق أحمد

ابن المقدم أحد شيوخ البخاري عن عمر بن علي (المذكور)، قال: سمعت معن بن محمد

فذكره. (فتح الباري (١/ ٩٥)، ط/ دار المعرفة، تحقيق: محب الدين الخطيب).

والدُّلْجَة: بضم أوله وفتح وإسكان اللام سير آخر الليل، وقيل سير الليل كله، ولهذا عبّر فيه بالتبعيض، وهذه الأوقات أطيب أوقات المسافرين، وكأنه صلى الله عليه وسلم خاطب مسافرًا إلى مقصد فنّبّه على أوقات نشاطه؛ لأن المسافر إذا سافر الليل والنهار جميعاً عجز وانقطع، وإذا تحرى السير في هذه الأوقات المنشطة أمكنته المداومة من غير مشقة. (فتح الباري (١/ ٩٥)).

خامساً: ما يستفاد من الحديث:

١- هذا الحديث من دلائل النبوة، فقد رأينا ورأى الناس قبلنا أن كل متنطع في الدين ينقطع، ولا نقصد بالتنطع طلب الأكمل في العبادة؛ فإنه من الأمور المحمودة، بل المقصود منع الإفراط المؤدي إلى الملل والمبالغة في التطوع المفضي إلى ترك الأفضل أو إخراج الفرض عن وقته، كمن بات يصلي الليل كله، ويغالب النوم إلى أن غلبته عيناه في آخر الليل فنام عن صلاة الصبح. (انظر: شرح السيوطي لسنن النسائي (٨/ ٥٠٣٤)، ط٢/ مكتب المطبوعات الإسلامية، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة).

٢- أن ديننا يسر، قال السيوطي رحمه الله: سماه النبي صلى الله عليه وسلم يسراً مبالغة ومقارنة بالأديان قبله، فمن ذلك أن الله تعالى رفع عن هذه الأمة الإصر الذي كان على من قبلهم ومن أوضح الأمثلة، لذلك أن توبتهم كانت بقتل أنفسهم وتوبة هذه الأمة بالإقلاع والعزم والندم. (انظر: شرح السيوطي لسنن النسائي (٨/ ٥٠٣٤)).

٣- التنبيه على أوقات النشاط؛ لأن الغدو والرواح والإدلاج أفضل أوقات المسافرين وأوقات نشاطه. (عمدة القاري (١/ ٢٣٩)).

٤- تبشير من عجز عن العمل بالأكمل بأن العجز إذا لم يكن من صنعه ورغبته لا يستلزم نقص أجره (قرب العباد كريم). (انظر: فيض القدير (١/ ٢٣٤)).

٥- تدخل الرخص ضمن ما سهّله الله على عباده كصلاة وصيام أصحاب الأعذار وغير ذلك مما أجمع على حله، فإذا أنعم الله سبحانه وتعالى على عبده بنعمة كهذه أحسن العبد قبولها إجلالاً لما صدر من كرمه سبحانه وتعالى. (انظر: فيض القدير (١/ ٢٣٤)).

٦- رفق النبي صلى الله عليه وسلم بأمته، وأن الشريعة حنيفة سمحة.

(شرح صحيح البخاري لابن بطال (١/ ٩٦))، ط٢/ مكتبة الرشد، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم).

٧- الأمر بالاقتصاد في العبادة، وترك التشديد على النفس، فإن الله سبحانه وتعالى لم يتعبد خلقه بأن ينصبوا أثناء الليل والنهار، فلا يستريحوا، بل أوجب عليهم وظائف في وقت دون وقت، فليخلطوا طرف الليل بطرف النهار، وليجمّوا فيما بينهما أنفسهم. (شرح السنة للبغوي (٤/ ٩٧) ط٢/ المكتب الإسلامي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش).

٨- الأخذ من العمل بما يتمكن صاحبه من المداومة عليه، وأن أحب العمل إلى الله ما داوم صاحبه عليه وإن قل. وقد روي ذلك في حديث آخر. (فتح الباري (١/ ١٥٠) ط٢/ دار ابن الجوزي، تحقيق: أبو معاذ طارق عوض الله).

٩- فيه الإشارة إلى شدة رغبة الصحابة في العبادة، وطلبهم الزيادة من الخير (مما جعل النبي صلى الله عليه وسلم يضع لهم الضابط الشرعي لهذا). (عمدة القاري (١/ ١٦٧)).

١٠- وفيه تشبيه للسفر إلى الله تعالى بالسفر الحسي، ومعلوم أن المسافر إذا استمر على السير انقطع وعجز، وإذا أخذ الأوقات المنشطة نال المقصد بالمداومة. (حاشية السندي على سنن النسائي (٨/ ١٢٣))، ط٢/ دار المطبوعات العربية، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة). وقال الخطابي: معنى هذا الكلام (شيء من

الدلجة) الحث على عبادة السحر. (انظر: عون المعبود (٦/ ٣٣٦)، ط٢/ دار الكتب العلمية).

١١- (براعة الإمام البخاري رحمه الله في تبويب صحيحه؛ فقد أورد هذا الحديث عقب الأحاديث التي قبله والتي تضمنت الترغيب في القيام والصيام والجهاد، فأراد أن يبين أن الأولى للعامل بهذه الأحاديث أن لا يُجهد نفسه بحيث يعجز وينقطع، بل يعمل بتلطف وتدرج ليديم عمله ولا ينقطع، ثم عاد بعد حديثنا هذا إلى سياق الأحاديث الدالة على أن الأعمال الصالحة معدودة من الإيمان فقال: «باب الصلاة من الإيمان» (وفي هذا رد على من تجرأ على ذكاء البخاري رحمه الله وعلمه) (انظر: فتح الباري (١/ ٩٥))، ط/ دار المعرفة).

أخيراً: الحديث وواقعه

إن هذا الحديث يدل بمفهومه ومنطوقه على أن ديننا يسر، فلو تفكر الإنسان في العبادات جميعها لوجدها ميسرة؛ فالصلوات موزعة في أوقات، والزكاة جزء صغير بالنسبة لأصل المال، والصوم شهر في العام، والحج لمن استطاع سبيله، هذا فضلاً عن التماس الشارع الأعدار لأصحابها.

فالحاصل أن الدين يسر، يسر في أصل التشريع، ويسر فيما إذا طرأ ما يوجب الحاجة إلى التيسير في حالة الأعدار، ولن يطلب أحد التشدد في الدين إلا غلب وهزم، ثم ترك العمل، فعلى المرء أن يفعل الشيء على وجه السداد والإصابة، فإن لم يتيسر فيقارب، وليستبشر بالثواب الجزيل والخير والمعونة من الله عز وجل.

ولا يفوتنا في هذا المقام ومع هذا الحديث النبوي أن ننصح لأنفسنا وإخواننا بما يلي:

١- ينبغي للإنسان أن يحرص على إدخال السرور على إخوانه ما استطاع، بالإشارة والبشاشة وغير ذلك، ولا يقنطهم ظناً منه أن التخويف قد يأتي بثمرة أجود في طريق الدعوة إلى الله، فهذه البشارة هي هدي النبي

صلى الله عليه وسلم، وهي نوع من التيسير. ٢- عدم التشديد على الناس في دعوتهم إلى الخير أو إلزامهم بالعزائم، أو تكليفهم بما لا يطيقون مما لم يكلفهم به الشرع الحنيف.

٣- عدم التشديد على النفس ولا تكليفها بما لم يكلفها الشارع به بزعم الأخذ بالعزيمة؛ لأن الخير كل الخير في اتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم، بل لا سبيل غير ذلك.

٤- الحرص على إظهار سنة التيسير للناس في جميع مناحي الدين مع التأكيد على نية التقرب إلى الله والتعبد له بإظهارها، وأن الذي يشدد على الناس - مهما كان صاحب هدف سام - مخالف للحنيفية السمحة.

٥- عدم التسرع في الحكم على الناس وتصنيفهم مهما بدا من تقصيرهم، بل ينبغي الإعراض عن تصنيف الناس بالكلية، فلا يكلف المرء نفسه بما لم يكلفه الله به، إذ إن ضرر ذلك أكبر من نفعه.

٦- التدرج في دعوة الناس إلى الخير، والبدء بالأهم ثم المهم حتى لا يعرض الناس عن دين الله بالكلية، وهذا نوع من التيسير، وهذه هي السنة.

٧- تحبيب الناس في سنة الحبيب صلى الله عليه وسلم، والتأكيد على أن اختيار النبي لأُمَّته هو عين التيسير وهو كذلك، فلا يفرط المسلم في شرائع دينه بدعوى التيسير، بل التيسير هو عين السنة، فما خير رسول الله بين أمرين إلا اختار أيسرهما كما هو ثابت في الحديث، فالسنة لا تحتاج إلى تعديل، ولا إلى مزيد من التيسير فحببنا صلى الله عليه وسلم لم يقصر في تبليغ دين الله على الوجه الذي أمره الله به.

أسأل الله الكريم المنان بفضله أن يرزقنا وإياكم هدى نبيه كاملاً غير منقوص، إنه ولي ذلك والقادر عليه،

والحمد لله رب العالمين.



درر البحار من ضيف الأحاديث القصار

علي حشيش

إعداد /

الحلقة الرابعة عشرة

١٥٥- «إن الله لا ييسر لعبده الحج إلا بالرضا فإذا رضي عنه أطلق له الحج».

الحديث لا يصح: أخرجه الخطيب كذا في «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» (ح ٢) من كتاب الحج من حديث المقداد بن الأسود مرفوعاً وفي إسناده سعيد بن عبد الرحمن يروي الموضوعات عن الثقات.

١٥٦- «من تزوج قبل أن يحج فقد بدأ بالمعصية».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن عدي في «الكامل» (١/٣٦٤) من حديث أبي هريرة مرفوعاً وفيه أحمد ابن جمهور القرقاني، ومحمد بن أيوب، والأول يروي الموضوعات والثاني: متهم بالكذب.

١٥٧- «يُدخل الله بالحجة الواحدة ثلاثة نفر: الميت، والحاج عنه والمنفذ له بذلك».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن عدي في «الكامل» (١/٣٤٢) من حديث جابر مرفوعاً، وفيه إسحاق بن بشر الكاهلي أبو يعقوب كوفي، قال ابن عدي: سمعت أحمد بن محمد بن سعيد يقول: سمعت الحضرمي يقول: ما سمعت أبا بكر بن أبي شيبه كذب أحداً إلا إسحاق بن بشر الكاهلي، فإنه جهر به فقال لي: أبو يعقوب هذا كذاب. اهـ. وعله أخرى شيخه أبي معشر المديني وهو ضعيف جداً، ولا سيما في بعض شيوخه ومنهم ابن المنكر، ومع ذلك اختلط قبل موته بمدة.

١٥٨- «من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة، لقي الله مكتوباً بين عينيه: آيس من رحمة الله».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن ماجه في «السنن» (ح ٢٦٢٠) من حديث أبي هريرة مرفوعاً، وفيه يزيد بن أبي زياد، ونقل الإمام الذهبي في «الميزان» (٤/٤٢٥) (٩٦٩٦) هذا الحديث وجعله من مناكيره وقال البخاري: منكر الحديث، وقال النسائي: متروك الحديث، وسئل أبو حاتم عن هذا الحديث فقال: باطل موضوع.

قلت: وعدم صحة الحديث لا يتوهم منه من لا راية له بالكتاب والسنة جواز التعاون على هذا الإثم العظيم وسفك للدماء، وقد نهى الله تعالى عن التعاون على هذا الإثم بجميع أسبابه وأشكاله، فقال: «وَتَمَآوُؤًا عَلَى الْآلِ وَالنَّقَوِّ وَلَا تَمَآوُؤًا عَلَى الْإِثْمِ وَالْمُدُونِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» [المائدة: ٢].

وكيف يُستهان بذلك الإثم العظيم وقد قال الله تعالى فيه: «وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا» [النساء: ٩٣].

قلت: فلا يغتر أحد بعدم صحة هذا الحديث فيستحل أن يقتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض.

فإذا لم يصح هذا الحديث فلا يغفل عن الأحاديث الصحيحة، حيث إن هذه الغفلة تتسبب في فتن قطع الليل المظلم ، فلا يغفل عن هذه الأحاديث التي في أعلى درجات الصحة حتى نسلم من هذه الفتن.

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سَتَكُونُ فِتْنُ الْقَاعِدِ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي ، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي ، وَمَنْ يُشْرِفْ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ ، وَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ».

الحديث: صحيح متفق عليه: أخرجه البخاري (ح٧٠٨١)، ومسلم (ح٢٨٨٦)، وهذا الحديث يدل على عدم التعاون على هذا الإثم من سفك الدماء في الفتن في قول الرسول صلى الله عليه وسلم «تستشرف لها». قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٣٤/١٣) من تطلع لها بأن يتصدى ويتعرض لها ولا يعرض عنها، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «تستشرفه» أي تهلكه.

ثم قال الحافظ: «والمراد بالفتنة ما ينشأ عن الاختلاف في طلب الملك، حيث لا يعلم المحق من المبطل ويكون ذلك مخصوصاً بآخر الزمان حيث يحصل التحقق أن المقاتلة إنما في طلب الملك».

قلت: وذلك من دقيق فقه البخاري الذي حير العقول باستنباطاته في تراجم الأبواب جعل هذا الحديث في تراجم بايين من كتابين من صحيحه:

أ- الحديث (٣٦٠١) في كتاب المناقب الباب (٢٥) باب علامات النبوة في الإسلام.

ب- الحديث (٧٠٨١)، (٧٠٨٢) في كتاب الفتن الباب (٩) باب تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم.

٢- عن ابن عمر أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ ».

الحديث متفق عليه: أخرجه البخاري (ح٧٠٧٧)، ومسلم (ح٦٦).

٣- عن ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم : « سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ ».

الحديث صحيح: متفق عليه، البخاري (٧٠٧٦)، ومسلم (ح٦٤).

٤- عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السَّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا ».

الحديث صحيح متفق عليه: أخرجه البخاري (ح٧٠٧٠)، ومسلم (ح٩٨).

٥- عن عبيد الله بن موسى عن الأعمش عن شقيق قال كُنْتُ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ وَأَبِي مُوسَى فَقَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ لَأَيَّامًا يَنْزِلُ فِيهَا الْجَهْلُ وَيَرْفَعُ فِيهَا الْعِلْمُ وَيَكْثُرُ فِيهَا الْهَرْجُ وَالْهَرْجُ الْقَتْلُ.

الحديث صحيح متفق عليه، أخرجه البخاري (ح٧١٦٤)، ومسلم (ح٢٦٧٢).

لزوم الطاعات بعد انتهاء موسم الخيرات

أما بعد: فاتقوا الله تعالى بدوام الطاعات، وهجر المحرمات؛ فقد فاز من تمسك بالتقوى في الآخرة والأولى، وخاب وخسر من اتبع الهوى.

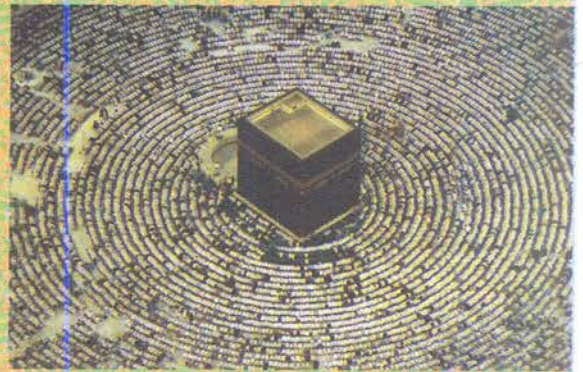
عباد الله: اذكروا نعم الله عليكم التي لا تعد ولا تحصى، وقابلوها بالشكر لتدوم وتبقى، قال الله تعالى: (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) [إبراهيم: ١٧]، وقال تعالى: (تِلْكَ آيَاتُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا إِلَى اللَّهِ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَعَالِمًا إِنَّهُمْ يَخْشَوْنَ اللَّهَ خَشْيَةً أَلْفَاكٍ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدًا) [الأنعام: ١٣٨]، وقال تعالى: (وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ) [لقمان: ١٢].

وقال تعالى في الحديث القدسي: «يا عبادي: إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها؛ فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه». رواه مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

أيها المسلمون: في رمضان صفت لكم الأيام والليالي، وتلذذتم بأنواع الطاعات في تلك الساعات الخوالي، ووفق الله من وفق لهجر المحرمات خوفاً من عقاب الكبير المتعال، فلا تتبدلوا العصيان بطاعة الرحمن، ولا تتبدلوا الغفلة بذكر الله وتلاوة القرآن، ولا يدخلن عليكم في الفرائض النقص بالتقصير فيها أو الكسل عنها.

فالصبر على الطاعات، والصبر عن المعاصي هو صفات المؤمنين، وشعار المتقين، قال الله تعالى: (رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُونَ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ) [مريم: ٦٥]، وقال تعالى: (وَأَمَّا أَمْلُكُ بِالْمَلَكَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَمْلِكُ رَيْثًا عَنْ رِزْقِكَ وَالْمَلَكَةُ لِلْقَوْمِ) [طه: ١٣٢].

ولا يتحول أحد مما يحب الله تعالى منه إلى ما يكرهه الله - عز وجل - منه؛ لئلا يتحول الله له إلى ما يكرهه، ولا يغيرن أحد ما كان عليه من الاستقامة والسناد والطاعة إلى اتباع الهوى والشيطان ومقارفة المنكرات والمحرمات، فيغير الله عليه



الشيخ

علي عبد الرحمن الحذيفي

إعداد

إمام المسجد النبوي في المدينة المنورة

أحواله،
و تنكس
عليه أموره.

قال الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْيِرُ مَا يُقِيمُ حَتَّى يَغْيِرُوا مَا بَأْسَهُمْ) [الرعد: ١١]، وقال تعالى: (ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهُ لَمْ يَكْ مَغْيِرًا نَفْسَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يَغْيِرُوا مَا بَأْسَهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) [الأنفال: ٥٣]، وقال تعالى: (فَلَمَّا رَأَوْا أَزْوَاجَهُمْ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) [الصف: ٥].

وليجاهد المسلم نفسه على أن يكون على أحسن الأحوال مُستعيناً بالله -تبارك وتعالى-، وليسأل من ربه العون والتوفيق على أن يعينه على طاعته، ويحفظه عن معاصيه.

أيها المسلمون: ألا تعلمون أن أحسن أمور المسلم: أن يكون على طاعة بعد طاعة؟ وأن يُتبع الحسنات الحسنات مع مُجانبة السيئات؟ قال الله تعالى: (وَالَّذِينَ أَحْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَآثَنَهُمْ مَّوَجَّهُمْ) [محمد: ١٧].

ثم إن دون هذه المنزلة أن يُتبع السيئة الحسنة لتكفرها، قال الله تعالى: (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلَاقَيْنِ آتِلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ الشَّرَّاتِ ذَلِكَ ذِكْرُ لِلَّذِينَ) [هود: ١١٤].

وفي حديث مُعَاذٍ وَأَبِي ذَرٍّ -رضي الله تعالى عنهما- قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ». رواه الترمذي.

وأسوأ أحوال الإنسان: أن يُتبع السيئات السيئات، أو يُتبع الحسنات السيئات، وقد ذكر عن السلف أنهم كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يتقبل منهم رمضان، ويدعون الله -تبارك وتعالى- ستة أشهر أن يُبلغهم رمضان.

ومن كيد الشيطان: أن يُزيّن للإنسان التهاون في الطاعات، والضعف أمام المحرمات في غير رمضان، فينال منه ما لم ينل في رمضان؛ لأنه كان في رمضان مأسوراً.

قيل لبشر الحافّي: ما تقول في قوم يجتهدون في رمضان، فإذا ولّى تركوا! قال: «بئس القوم؛ لا يعرفون الله إلا في رمضان».

وأعظم الكرامة: أن يُمّن الله على العبد بالاستقامة في كل أيام عمره، فذلك هو الفوز كله والسعادة التامة، قال الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) [١٣] أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [الحقاف: ١٣، ١٤].

وعن سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ -رضي الله عنه- قال: قلت: يا رسول الله: قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك. قال: «قل: آمنت بالله، ثم استقم». رواه مسلم.

وربنا -عز وجل- هو الذي يُعبد في كل زمان ومكان، وهو الذي يحب أن يُطاع فلا يُعصى، قال الله تعالى: (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) [الحجر: ٩٩].

قال المفسرون: «اعبد ربك دائماً حتى ياتيك الموت». قال الحسن البصري -رحمه الله-: «ليس للمؤمن وقت ينتهي إليه حتى ياتيه الموت».

ومن فهم من الآية أن التكليف تسقط عن العبد بعد وصوله إلى اليقين -وهو عدم الشك-، فهو من الزنادقة الذين يهدمون بالبدع الدين.

وإذا كان رمضان قد انقضى فرض صيامه، وشُرع في شهره أنواع الطاعات؛ فقد شرع الله فيما بعد رمضان فعل الخيرات، فشرع صيام ستة أيام من شوال، وأخبر النبي أنها كصيام الدهر فهنيئاً لمن صامها.

وشرع صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وشُرع صيام الاثنين والخميس، وصيام عرفة، وعاشوراء، وصيام عشر ذي الحجة، وشرع الذكر مع تلاوة القرآن، وأفضل التطوع الصلاة في جوف الليل، وشُرعت الصدقة وأنواع النفقات.

فالأعمال الصالحات كما هي في رمضان هي مشروعة فيما بعد رمضان، والسابقون هم المستكثرون منها.

ومن مكر الشيطان: أن يُصاب بعض الناس بالكسل عن صلاة الفريضة، فيُصلي في رمضان ويترك الصلاة بعده، أو يُصلي بعض الصلاة ويترك بعضها.

ومن نام عن الصلاة وصلأها بعد الاستيقاظ على وجه العادة، أو أخرها إلى آخر وقتها، أو ترك صلاة الجماعة؛ مات على غير سنة.

عباد الله: إن عدوكم الشيطان كان عنكم مأسوراً، ويريد أن يأخذ منكم بثاره ليُجعل الأعمال هباءً منثوراً، فردوه بالاعتصام بالله والثبات على الصراط المستقيم خائباً مدحوراً.

واعلموا أن السعادة والفلاح الأبدى هو صبر ساعة على الطاعة وعن المعصية، وأن الخسران والشقاء الأبدى اتباع الهوى ساعة، ولو تفكر ابن آدم في قصر الحياة وزوال الدنيا وقصر أجلها لاشتغل بصالح العمل، ولما الهاه الأمل.

قال الله تعالى: (وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ كَأَن لُّوْا بَشَرًا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِقَوْلِهِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ) [يونس: ٤٥].

فما نسبة عُمرِك في هذه الساعة التي ذكرها الله؟! وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ». رواه البخاري.

وهذه الدار ليست بدار قرار، إنما هي دار ممر وعمل، إنما دارك هي الآخرة: إما نعيم مُقيم، وإما عذاب أليم. فلا تنسوا -عباد الله- أن تعملوا لأنفسكم، وأن تقدّموا لأنفسكم لداركم الأخرى وحياتكم الأبدية.

فصلوا وسلموا على سيد الأولين والآخرين وإمام المرسلين.

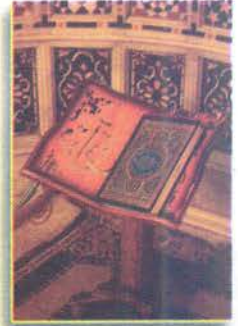


وأُذِّنُ في النَّاسِ رَبِّ الْحَجِّ

الحج دروس وعبر
من منافع الحج وفوائده
كيف يؤدي المسلم مناسك الحج والعمرة؟

منهج النبي صلى الله عليه وسلم

في تعليم أمته خلال رحلة الحج



الحمد لله الذي جعل لكل أمة مُنْسَكًا، وجعل لهم إلى الخير طريقًا ومسلَكًا،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده
ورَسُولُهُ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، ومن سار على
نهجه واقتفى. أما بعد:

عبدُه أحمد الأقرع

إعداد

وقائم. [صحيح سنن الترمذي: ٧٠٠].

٢- بيانه صلى الله عليه وسلم

منزلة أركان الإسلام وقواعده الكبار:

إذ قال في إحدى خطبه في المواسم: «اتقوا ربكم، وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، وأطيعوا ذا أمر منكم، تدخلوا جنة ربكم». [صحيح سنن الترمذي رقم: ٥١٢].

ومنها: عن فضالة بن عبيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع ألا أخبركم بالمؤمن من أمانته الناس على أموالهم وأنفسهم والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب. [السلسلة الصحيحة رقم: ٥٤٩].

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: «فإن دماءكم وأموالكم وأغراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا». [صحيح البخاري: ٦٧].

٣- بيانه صلى الله عليه وسلم بعض الأحكام الشرعية:

ككيفية غسل الميت مُحَرَّمًا وتكفينه، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «بينما رجل واقف بعرفة إذ وقع عن راحلته فوقصته، قال النبي صلى الله عليه وسلم: اغسلوه بماء وسدر، وكفنوه في ثوبين، ولا تحنطوه، ولا تخمروا رأسه، فإنه يبعث يوم القيامة ملبياً». [صحيح

إن الناظر إلى أحوال النبي صلى الله عليه وسلم عموماً وفي الحج خصوصاً ليرى عجباً، فمن تأمل حجه صلى الله عليه وسلم وجد أنه حرص على البلاغ وإقامة الحجة على الخلق فحفظهم على التعلم، وشحذ همهم، وشد انتباههم إلى ما يقول ويفعل، بتنوع أساليب الخطاب وطريق التعلم، فوضع صلى الله عليه وسلم منهجاً للعالم والمتعلم لتعليم أمتهم وقيادتهم في هذه الرحلة العظيمة.

ملاحظ هذا المنهج

١- حرصه على تعليمهم ابتداءً:

وكما في حديث بلال رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له غداة جمع: «يا بلال، أسكت الناس». أو: «أنصت الناس». ثم قال: «إن الله تطول عليكم في جمعكم هذا فوهب مسيكتكم لحسنكم، وأعطى محسنكم ما سأل، ادفعوا باسم الله». [صحيح سنن ابن ماجه: ٢٤٦٨].

ولم يقتصر صلى الله عليه وسلم على البلاغ والتعليم بنفسه، بل جعل صلى الله عليه وسلم حين خطب الناس بعرفة - ربعة بن أمية - رضي الله عنه - يصرخ خلفه صلى الله عليه وسلم في الناس يسمعون خطبته. [انظر: السيرة النبوية لابن كثير: ٣٤٢/٤].

وفي منى جعل صلى الله عليه وسلم علياً رضي الله عنه يعبر عنه، ويردد كلامه، والناس بين قاعد



بَلَى قَالَ أَيُّ بَلَدٍ هَذَا قُلْنَا
اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ فَسَكَتَ
حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ
بِغَيْرِ اسْمِهِ قَالَ أَلَيْسَتْ
بِالْبَلَدَةِ الْحَرَامِ قُلْنَا بَلَى
قَالَ فَإِنَّ دِمَاعَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ
عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحَرَمَةِ يَوْمِكُمْ
هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي
بَلَدِكُمْ هَذَا إِلَى يَوْمٍ تَلْقَوْنَ
رَبَّكُمْ. [صحيح البخاري:
١٧٤١].

٩- حثه صلى الله عليه وسلم
على التبليغ عنه، وتحذيره من
الكذب عليه؛



إِذْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ: «نَضَرَ اللَّهُ امْرَأً
سَمِعَ مَقَالَتِي فَبَلَّغَهَا فَرَبٌّ
حَامِلٌ فَقَدْ غُيِّرَ فَقِيهِ رُبٌّ
حَامِلٌ فَقَدْ إِلَى مَنْ هُوَ
أَفْقَهُ». [صحيح ابن ماجه:
٢٤٨٠].

١٠- التربية على الاتباع، وتوحيد مصدر التلقي؛

ومن ذلك: قوله صلى الله عليه وسلم وحثه
الناس في خطبة يوم عرفة على الاعتصام
بالتنزيل والتمسك به، لأنه طريق الوقاية من
الزيغ والضلال، حيث قال صلى الله عليه وسلم:
«وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم
به: كتاب الله». [مسلم: ١٢١٨].

١١- توحيد الأمة، وتحذيرها من الفتن ودواعي
الاقتراق؛

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم وهو بالخيف
بمنى: «ثَلَاثٌ لَا يَغْلُ عَلَيْنَهُنَّ صِدْرُ مُسْلِمٍ إِخْلَاصُ
الْعَمَلِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمُنَاصَحَةُ أُولِي الْأَمْرِ وَلَزُومُ
جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ فَإِنْ دَعَوْتُهُمْ تَحِيطٌ مِنْ وَرَائِهِمْ».
[صحيح سنن ابن ماجه: ٢٤٨٠]. ومنها: نهيه
صلى الله عليه وسلم عما يسبب الفرقة، ويؤدي
إلى الفتنة في المجتمع المسلم، كالاقتتال، حيث
قال صلى الله عليه وسلم بعد أن استنصت
الناس: «لا ترجعوا بعدي كفاراً، يضرب بعضكم
رقاب بعض». [صحيح البخاري: ١٢١].
وصلى الله وسلم وبارك عليك يا خليلي يا رسول
الله، اللهم امنن علينا بحج بيتك الحرام.

الجامع رقم: ١٠٧٩]. وبما أنا نرى اليوم الملايين
من البشر في الحج تتوافد على الديار المقدسة
عاماً بعد آخر، فإن الفرصة متواتية لأن يتصدى
أهل العلم لتعليمهم أصول الدين وتفقيهم
بأحكامه.

٤- جوابهم عما أشكل عليهم؛

ولعل من أشهرها: «أن امرأة من خثعم قالت: يا
رسول الله، إن أبي شيخ كبير عليه فريضة الله
في الحج، وهو لا يستطيع أن يستوي على ظهر
بعيره؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: فحجي
عنه». [صحيح مسلم: ١٣٣٥].

٥- وقوفه صلى الله عليه وسلم للناس وبروزه لهم لكي
يرووه ويسألوه؛

كما يدل ذلك حديث جابر رضي الله عنه قال:
«طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبيت في
حجة الوداع على راحلته، يستلم الحجر بمحجنه،
لأن يراه الناس، وليشرف، ويسألوه، فإن الناس
غشوه». [صحيح مسلم: ١٢٧٣].

٦- جنوحه إلى التيسر في فتاويه، والتخفيف على ذوي
الاحتاجات، والشواهد على ذلك كثيرة، منها؛

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: دَخَلَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى ضَبَاغَةَ بِنْتِ
الزُّبَيْرِ فَقَالَ لَهَا أَرَدْتَ الْحَجَّ قَالَتْ وَاللَّهِ مَا أَجِدُنِي
إِلَّا وَجَعَةً فَقَالَ لَهَا حَجِّي وَاشْتَرِطِي وَقُولِي اللَّهُمَّ
مَجْلِي حَيْثُ حَبَسْتَنِي. [مسلم: ١٢٠٧].
وقوله صلى الله عليه وسلم لكل من سأل عن
التقديم والتأخير في أعمال يوم النحر: «افعل ولا
حرج». [صحيح البخاري: ٨٣].

٧- حرصه صلى الله عليه وسلم على الإقناع لمن يستفتيه؛

كقوله صلى الله عليه وسلم لرجل قال له: يا رسول
الله، إني أبي أدركه الإسلام، وهو شيخ كبير، لا
يثبت على راحلته، أفأحج عنه؟ قال: أرايت لو كان
عليه دين فقضيته عنه، أكان يجزيه؟ قال: نعم. قال:
«فأحجج عن أبيك». [المسند لأحمد: ١٨١٢].

٨- استثماره صلى الله عليه وسلم
الفرص وربطه بين المواقف؛

كقوله صلى الله عليه وسلم حين خطب الناس
يوم النحر: «أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ
أَعْلَمُ فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ
قَالَ أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ قُلْنَا بَلَى قَالَ أَيُّ شَهْرٍ هَذَا
قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ
سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ فَقَالَ أَلَيْسَ ذُو الْحِجَّةِ قُلْنَا

من منافع الصلاة

من دونه من أنبياء أو ملائكة أو جنٍّ أو غير ذلك، فكله معبود بالباطل، كما قال الله عز وجل: «**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا تَكْذِبُونَ مِنْ مُؤْنِهِ هُوَ السَّاطِلُ**» [الحج: ٦٢]. ولهذا الأمر العظيم خلق الله الجن والإنس وأمرهم بذلك، فقال عز وجل: «**وَمَا خَلَقْتُ الذِّينَ وَالْإِنسَ إِلَّا لِعِبَادَتِي**» [الذاريات: ٥٦]. وقال تعالى: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**» [البقرة: ٢١].

وعبادته سبحانه هي توحيده في ربوبيته وإلهيته وأسمائه وصفاته، وطاعة أوامره، وترك نواهيه عن إيمان وتصديق ورغبة ورهبة، ... وسمى الله سبحانه دينه عبادة؛ لأن العباد يؤدونه بخضوع وذل لله سبحانه، ومن ذلك قول العرب: طريق معبد أي: مذل قد وطئته الأقدام، وبغير معبد أي: مذل قد شد عليه حتى صار ذلولا، وهذه المسألة - أعني مسألة التوحيد والإخلاص لله، وتخصيصه بالعبادة دون كل ما سواه - هي أهم المسائل وأعظمها، وهي التي وقعت فيها الخصومة بين الرسل والأمم حتى قالت عاد ليهود عليه السلام: «**أَجَعَلْنَا لِعِبَادِ اللَّهِ وَحْدَهُ وَنَدْرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا**» [الأعراف: ٧٠]. وقالت قريش للنبي صلى الله عليه وسلم لما أمرهم بالتوحيد: «**أَجَعَلْنَا إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ**» [ص: ٥]. وقالوا أيضا فيما ذكر الله عنهم في سورة الصافات: «**وَيَقُولُونَ إِنَّا نَأْتِيكَم بِالْبَيِّنَاتِ لِنُؤْمِنَ بِكُمْ**» [الصافات: ٣٦]. بعد قوله سبحانه: «**إِنَّمُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ**» [الصافات: ٣٥]. فعلم بهذه الآيات وما جاء في معناها، أن أهل الشرك يستكبرون دعوة التوحيد، ويستكبرون عن التزامها؛ لكونهم اعتادوا ما ورثوه عن آبائهم من الشرك بالله وعبادة غيره.

فالواجب على أهل العلم والإيمان، وعلى أهل الدعوة إلى الله سبحانه، أن يهتموا بهذا الأمر، وأن يوضحوا حقيقة التوحيد والشرك للناس أكمل توضيح، وأن يبينوه أكمل تبين؛ لأنه الأصل الأصيل الذي عليه المدار في صلاح الأعمال وفسادها وقبولها ورفضها، كما قال عز وجل: «**وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لِحَطَّ عَمَّاكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**» [الزمر: ٦٥]. وقال تعالى: «**وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه، أما بعد:

فإن الله سبحانه وتعالى شرع الحج لحكم كثيرة، وأسرار عظيمة، ومنافع حمة، أشار إليها سبحانه في قوله عز وجل: «**وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ**» (٧) **لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا أَنَّمَا اللَّهُ فِي أَنْبَاءِ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَلَكَؤُمُهَا وَأَطْعَمُوا النَّاسَ الْفَقِيرَ** (٨) **ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُتَبَأُوا أَفْوَاهَهُمْ وَلِيَطَافُوا بِالْكَأْبِ الْعَمِيقِ**» [الحج: ٢٧-٢٩] فواضح سبحانه في هذه الآيات أنه دعا عباده للحج ليشهدوا منافع لهم.

أولا: وأعظم هذه المنافع وأكبرها شأنًا ما يشهده الحاج من توجه القلوب إلى الله سبحانه، والإقبال عليه، والإكثار من ذكره، بالتلبية وغيرها من أنواع الذكر، وهذا يتضمن الإخلاص لله في العبادة، وتعظيم حرماته، والتفكير في كل ما يقرب لديه، ويباعد من غضبه، ومعلوم أن أصل الدين وأساسه وقاعدته، التي عليها مدار أعمال العباد، هي تحقيق معنى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله قولًا وعملاً وعقيدة.

فالشهادة الأولى: توجب تجريد العبادة لله وحده وتخصيصه بها من دعاء وخوف ورجاء وتوكل وصلاة وصوم وذبح ونذر، وغير ذلك من أنواع العبادة؛ لأن هذا كله حق لله وحده، ليس له شريك في ذلك لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، كما قال عز وجل: «**وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ**» [الإسراء: ٢٣]. وقال سبحانه: «**وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَّا رِجَالًا لِيُعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ**» [البينة: ٥]. وقال تعالى: «**فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**» [غافر: ١٤]. والدين هنا معناه العبادة، وهي طاعته، وطاعة رسوله عليه الصلاة والسلام، بفعل الأوامر، وترك النواهي، عن إيمان بالله ورسوله، وإخلاص له في العبادة، وتصديق بكل ما أخبر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم، رغبة في الثواب، وحذرًا من العقاب، وهذا هو معنى لا إله إلا الله، فإن معناها: لا معبود حق إلا الله، فهي تنفي العبادة - وهي الألوهية بجميع معانيها - عن غير الله سبحانه، وتثبتها بجميع معانيها لله وحده على وجه الاستحقاق، وجميع ما عبده الناس

حج وفوائده

للشيخ

عبد العزيز بن باز - رحمه الله -

الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية
والإفتاء والدعوة والإرشاد

وإلزامهم بالحق، فيرجع إلى بلاده، وقد تزود خيرًا كثيرًا، واستفاد علمًا جمًا، ولا ريب أن هذا من أعظم المنافع وأكملها، لا سيما في حق من يشهد حلقات العلم في المسجد الحرام والمسجد النبوي والمشاعر، ويصغي إلى الدعاة إلى الله سبحانه، ويحرص على الاستفادة من نصائحهم وتوجيههم .

ثالثًا : وفي الحج فوائد أخرى ومنافع متنوعة خاصة وعامة، يطول الكلام بتعدادها، ومن ذلك الطواف بالبيت العتيق، والسعي بين الصفا والمروة، والصلاة في المسجد الحرام، ورمي الجمار، والوقوف بعرفة ومزدلفة، والإكثار من ذكر الله ودعائه واستغفاره في هذه المشاعر، ففي ذلك من المنافع والفوائد والحسنات الكثيرة والأجر العظيم وتكفير السيئات ما لا يحصى إلا الله لمن أخلص لله في العمل، وصدق في متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم، والاهتداء بهديه، والسير على سنته، وقد جاء في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: ((إنما جعل الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله)). أبو داود وضعفه الألباني. وفي رواية للترمذي: «إنما جعل رمي الجمار، والسعي بين الصفا والمروة لإقامة ذكر الله». وقال: هذا حديث حسن صحيح. [سنن الترمذي ٣/ ٢٣٧].

وأسأل الله عز وجل أن يصلح أحوال المسلمين جميعًا، وأن يمنحهم الفقه في دينه ويتقبل منا ومنهم، وأن يولي عليهم خيرهم، ويصلح قلوبهم وأعمالهم، وينصر دينه ويخذل أعداءه، إنه سميع قريب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه ومن اهتدى بهداه .

المصدر:

(مجلة الجامعة الإسلامية) بالمدينة المنورة العدد (الثاني) ١٣٩٨هـ (١٥/١١)، والعدد (٢٠٩) عام ١٤١٤هـ .

عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْلِكُونَ» [الأنعام: ٨٨].

أما الشهادة الثانية: وهي شهادة أن محمدًا رسول الله، فهي الأصل الثاني في قبول الأعمال وصحتها، وهي تقتضي المتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم، ومحبة وتصديق أخباره، وطاعة أوامره وترك نواهيه، وأن لا يعبد الله إلا بشريته عليه الصلاة والسلام، كما قال الله عز وجل: «وَمَا أَنَا بِمُكْرِمِي الرُّسُلِ فَخِذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَأْنِهُوا» [الحشر: ٧]. وقال سبحانه: «قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ» [آل عمران: ٣١]. ولا هداية للصراف المستقيم؛ إلا باتباعه والتمسك بهداه، كما قال الله سبحانه وتعالى: «وَإِنْ تُطِيعُوا تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ» [النور: ٥٤]. وقال عز وجل: «قُلْ يٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَتَمِيزُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ الَّذِي الْأَمْرُ بِاللَّهِ يَوْمَئِذٍ وَاللَّهُ وَكَانَ تَحْتَهُ» [الأعراف: ١٥٨].

وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى. قيل: يا رسول الله، ومن أبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى)). رواه البخاري في صحيحه . ويدل على هذا المعنى قول الله سبحانه وتعالى: «تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» [النساء: ١٣]. «وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا كَبِيرًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ» [النساء: ١٤]. والآيات في

هذا المعنى كثيرة.

ثانيًا : ومن منافع الحج وفوائده العظيمة أنه يذكر بالآخرة، ووقوف العباد بين يدي الله يوم القيامة، لأن المشاعر تجمع الناس في زي واحد، مكشوفي الرؤوس من سائر الأجناس، يذكرّون الله سبحانه ويلبّون دعوته، وهذا المشهد يشبه وقوفهم بين يدي الله يوم القيامة في صعيد واحد، حفاة عراة غرلا خائفين وجلين مشفقين، وذلك مما يبعث في نفس الحاج خوف الله ومرتقبته والإخلاص له في العمل، كما يدعو إلى التفقه في الدين، والسؤال عما أشكل عليه، حتى يعبد ربه على بصيرة، وينتج عن ذلك توجيهه لمن تحت يده إلى طاعة الله ورسوله،

الحج دروس وعبر

د. نهار العتيبي

عضو الجمعية الفقهية السعودية

إعداد



وحده ؛ وعدم دعاء غير الله من الأولياء أو الأموات أو غيرهم من المخلوقين فإن ذلك يوقعهم في الشرك الأكبر المخرج من الإسلام .

٢- الحج يحقق وحدة المسلمين وقوتهم :

فإن الحجاج إلى بيت الله الحرام تختلف بلدانهم ولغاتهم وألوانهم لكن يجمعهم شيء واحد هو الإسلام فيجتمعون في الحج وتبلغ أعدادهم ملايين الأشخاص وينتقلون من مشعر إلى مشعر في منظر يشعر بالرهبة ويدل على أن قوة المسلمين هي في اجتماعهم على كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وفي هذا درس للمسلمين بأهمية الاجتماع ونبذ التفرق والاختلاف فإن الخلاف شر والاجتماع خير وقد أمرنا ربنا جل وعلا في كتابه الكريم بالاجتماع فقال سبحانه : « وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا » [آل عمران : ١٠٣] وقال سبحانه : « لَا تَتَزَعَّوْا أَنْفُسَكُمْ وَتَذَهَبَ رِجَالُكُمْ وَأَصِيرُوا إِنْ اللَّهُ مَعَ الصَّادِقِينَ » [سورة الأنفال : ٤٦] .

٣- الحج يبرز الأخوة الإسلامية :

فإن الأخوة بين المسلمين تبرز بشكل واضح في الحج وتخفي الفوارق بينهم . ويرى بشكل واضح التعاون والتألف والمحبة في أروع صورها، فنجد القوي يعين الضعيف وربما حمله إن كان يستطيع حمله، ونجد أن من يمتلك الطعام يطعم من لا طعام لديه وكم هو مبهج ومفرح أن يرى المسلم مجموعات من الشباب والشيب وهم يستقبلون إخوانهم في مزدلفة بعد نفورهم من عرفة ويقدمون لهم الماء والعصير والطعام وهم يرددون

إن المتأمل في هذا الركن العظيم من أركان الإسلام ليجد أن هناك العديد من الدروس والعبر ، ويمكن استخلاص أبرز تلك الدروس والعبر المستفادة من الحج فيما يلي :

١- تحقيق تقوى الله

عز وجل بتوحيده :

فإن المسلم بأدائه هذا الركن العظيم يحقق

التقوى التي أمره الله تعالى بالتزود بها بعدما نهى عباده عن فعل المعاصي والآثام وأمرهم باجتنب الرفث والفسوق والجدال في الحج فقال سبحانه وتعالى : « الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَةٌ فَمَنْ رُضِيَ فِيهِ الْحَجُّ فَلَا رَفَثٌ وَلَا فَسُوقٌ وَلَا جِدَالٌ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَأْتُوا آلَ الْكَافِبِ » [سورة البقرة: ١٩٧] . والتقوى لا تكون إلا بتوحيد الله عز وجل وذلك بإفراده سبحانه وتعالى بالعبادة وعدم إشراك أحد مع الله تعالى في عبادته ، وهذا يتجلى واضحاً في الحج فإن الحجاج يجيبون رباً واحداً قائلين لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك . وهذا هو التوحيد ؛ فإن معنى لبيك لا شريك لك لبيك أي: استجابة لك وحده فإنه لا شريك لك في عبادتك .

وهذا درس للمسلمين في كل مكان يوضح وجوب تحقيق التوحيد بعبادة الله تعالى



ينتابهم خوف ولا هلع
بينما يوم القيامة يبلغ
بالناس الخوف والهلع
غايته إلا من استثناه الله
تعالى من عباده المؤمنين
ولهذا وصف الله تعالى
حال الناس يوم القيامة
حين يرون القيامة بأنهم
كالسكارى من شدة
خوفهم فقال سبحانه
وتعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَتَقُولُ
رَبِّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ
شَيْءٌ عَظِيمٌ ① يَوْمَ تَرَوْنَهَا
تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا
أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ
حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ
سَكَرَى وَمَا هُمْ بِسَكَرَى
وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾
[سورة الحج: ١-٢].

٦- الحج يؤكد على مغالبة المشركين :

لم يقتصر أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه على تحقيق التوحيد في التلبية فقط بل تعدى إلى الأمر بمخالفة المشركين فيما كانوا يفعلونه عند حجهم . فلقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تلبية المشركين بما كانوا يزيدونه في التلبية بقولهم :لبك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك .وخالفهم عليه الصلاة والسلام في عدة مواضع منها أنه تجاوز الوقوف بمزدلفة ووقف في عرفات بأمر من ربه عز وجل .قالت عائشة رضي الله عنها : (كانت قريش ومن دأن دينها يقفون بالمزدلفة وكانوا يسمون الحمس وكان سائر العرب يقفون بعرفات فلما جاء الإسلام أمر الله - تعالى - نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأتي عرفات ثم يقف بها ثم يفيض منها وذلك قوله عز وجل : ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾ [سورة البقرة: ١٩٩] (متفق عليه) .

(سبيل يا حاج) ولا يعرف بعضهم بعضاً إلا بأنهم مسلمون فقط فيرتسم في مخيلة كل مسلم ومسلمة حديث نبينا الكريم الذي حفظه الجميع وهو قوله عليه الصلاة والسلام : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » .(رواه مسلم)

٤- الإحرام يذكر بالكفن :

فإنه من المعلوم أن الرجل المسلم يحرم في إزار ورداء ويسن أن يكونا أبيضين، ويجب عليه مع الإحرام أن يخلع المخيط فلا يلبس إلا هذا الرداء وذلك الإزار ، ويستحب له الاغتسال والتطيب في بدنه قبل لبس ملابس الإحرام وهذا يذكر بالميت عند تغسيله وتكفينه فإنه عند موت المسلم يغسل ويطيب ويكفن بكفن ويستحب أن يكون أبيض كذلك ، غير أن هناك ثمة فرق بين الحاج والميت؛ فالحاج يستطيع أن يتوب ويدعوا ربه ويتزود من العمل الصالح، وأما الميت فتهيئات هيهات. وكذلك الحال بالنسبة لغير الحاج فباب التوبة مفتوح ما كان حياً ما لم يحل به الموت فإنه لا تقبل التوبة عند الغرغرة وبلوغ الروح الحلقوم .

٥- الحج يذكر بيوم القيامة :

فإن مسير الحاج من منى إلى عرفات ومن عرفات إلى مزدلفة ثم إلى منى وهم يسيرون في وقت واحد وفي اتجاه واحد يذكر المسلم بيوم القيامة، فلقد شبه الله تعالى مسير الناس يوم القيامة بأنهم يسيرون وكانهم يتجهون إلى علم أو راية فقال سبحانه : ﴿يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْجِبَالِ سِراعا كأنهم﴾ ② ﴿إِنْ نَسَبَ يَافُوسُونَ﴾ ③ ﴿حِينَمَا أَفْضَرُهُمْ رَهَقَهُمْ إِلَهُ﴾ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ [سورة المعارج: ٤٣-٤٤] قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: (أي يقومون من القبور إذا دعاهم الرب تبارك وتعالى لموقف الحساب ينهضون سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون ، قال ابن عباس ومجاهد والضحاك : إلى علم يسعون ، وقال أبو العالية ويحيى بن كثير : إلى غاية يسعون إليها) . ومما لاشك فيه أن الموقف هنا يختلف، فالحجاج لا



٧- الحج يعلم الصبر على طاعة الله : ٩- الحج يكفر الذنوب ويوجب دخول الجنة :



وهذا درس عظيم وفائدة جليلة تدل على فضل الكريم سبحانه فأما تكفير الحج للذنوب فلقول النبي الكريم صلى الله عليه وسلم : (تابعوا بين الحج والعمرة فإن متابعة بينهما تنفي الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد) [رواه ابن ماجة والإمام أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم ٢٨٩٩] .

وفي رواية للنسائي بسند صحيح (فإنهما ينفيان الذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد) وفي

رواية له أيضا وللمترمذي والإمام أحمد بسند صحيح (فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة) . ويدل أيضا على تكفير الحج للذنوب قول النبي صلى الله عليه وسلم : (من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه) [متفق عليه] . ويرى جمهور العلماء وهو الصحيح إن شاء الله أن المغفرة مقتصرة على صغائر الذنوب بينما يرى بعضهم أنها تشمل حتى كبائر الذنوب .

وأما كون الحج سبباً لدخول الجنة فلقول النبي الكريم صلى الله عليه وسلم : (العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة) [متفق عليه] .

أسأل الله جل وعلى أن يرزقنا التبصر والاعتبار والاستفادة مما في هذا الركن العظيم من الدروس والعبر الكثيرة إنه جواد كريم وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

لكي يؤدي الحاج حجه فإنه يعرض له الكثير من المشقة والتعب ويواجهه الكثير من الزحام والبقاء مدة طويلة في الانتظار وهذا يعوده على الصبر على طاعة الله عز وجل لاسيما والمسلم مأمور بالصبر على طاعة ربه عز وجل وهي أعظم أنواع الصبر الثلاثة . وقد أمر ربنا - تبارك وتعالى - عباده بالصبر فقال : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » [سورة آل عمران ٢٠٠] وقال سبحانه وتعالى حاثاً عباده المؤمنين على الصبر : « إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ » [سورة الزمر : ١٠] . وهذا الأمر يدعو كل مسلم إلى الصبر على طاعة الله تعالى في كل وقت حتى يفوز بالنعيم المقيم في جنات النعيم .

٨- الحج يعود المسلم على الدعاء :

فإن الله قريب يجيب دعاء السائلين، ولقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن فضل الله تعالى كبير وأنه سبحانه وتعالى يستجيب دعاء السائلين ويعتق عباده في يوم عرفة أكثر مما يعتقهم فيما سواه من الأيام . فعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة) [رواه مسلم] ولذلك حث النبي صلى الله عليه وسلم على الدعاء خصوصاً في يوم عرفة فقال : (خير الدعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير) [رواه الترمذي وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم ٣٢٧٤] .

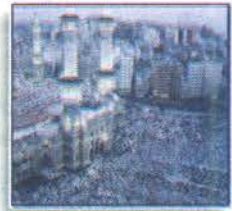
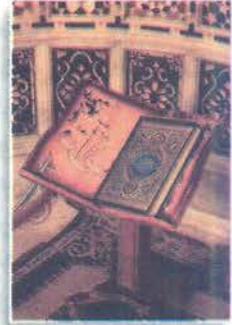
وإن اعتياد الحاج على الدعاء في هذه الأيام يجعله يعتاده فيما بعد ويشجع غير الحاج على دعاء الكريم سبحانه الذي وعد بإجابة الداعين فقال : « وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ » [سورة البقرة : ١٨٦]

كيف يؤدي المسلم مناسك

الحج والعمرة ؟

محمد بن صالح بن عثيمين - رحمه الله -

إعداد



الحمد لله ،
والصلاة والسلام
على رسول الله ،
صلى الله عليه
وسلم ، وبعد :
فإن أحسن ما
يؤدي به المسلم
مناسك الحج
والعمرة أن يؤديها
على الوجه الذي
جاء عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم
لمنال بذلك محبة الله
ومغفرته (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ) (آل عمران : ٣١) .

وأكمل صفة في ذلك التمتع لمن لم يسق
الهدي ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم
أمر به أصحابه وأكدده عليهم وقال : « لو
استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت
الهدي ولأحللت معكم » [رواه البخاري] .
والتمتع : أن يأتي الحاج بالعمرة كاملة
في أشهر الحج ويحل منها ثم يحرم بالحج
في عامه .

صفة العمرة للمتمتع

١- إذا كان ضحى اليوم الثامن من ذي
الحجة فاحرم بالحج من مكانك الذي أنت
نازل فيه ، فاغتسل إن تيسر لك والبس ثياب
الإحرام ، ثم قل : لبيك حجا ، لبيك اللهم لبيك ،
لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة
لك والملك لا شريك لك .

٢- ثم أخرج إلى منى وصل بها الظهر
والعصر والمغرب والعشاء والفجر قصرا
بلا جمع .

٣- فإذا طلعت الشمس فسر إلى عرفة
وصل بها الظهر والعصر جمع تقديم
ركعتين ركعتين ، وامكث فيها إلى غروب
الشمس ، وأكثر من الذكر والدعاء هناك

١- إذا وصلت إلى الميقات وأردت الإحرام
بالعمرة فاغتسل كما تغتسل من الجنابة
إن تيسر لك ، ثم البس ثياب الإحرام إزاراً
ورداء « والمرأة تلبس ما شاءت من الثياب
غير متبرجة بزينة » ثم قل : « لبيك عمرة
متمتعا بها إلى الحج ، لبيك اللهم لبيك ،
لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة

إلى منى فبت فيها ليلتي أحد عشر وأثنى عشر.

٨- ثم ارم الجمرات الثلاث في اليوم الحادي عشر والثاني عشر بعد الزوال ، تبديئاً بالأولى وهي أبعدهن عن مكة ، ثم الوسطى ، ثم جمرة العقبة ، كل واحدة بسبع حصيات متعاقبات ، تكبر مع كل حصاة ، وتقف بعد الجمرة الأولى والوسطى تدعو الله مستقبلاً القبلة، ولا يجزئ الرمي قبل الزوال في هذين اليومين.

٩- فإذا أتممت الرمي في اليوم الثاني عشر فإن شئت أن تتعجل فأخرج من منى قبل غروب الشمس ، وإن شئت أن تتأخر - وهو أفضل - فبت في منى ليلة الثالث عشر وارم الجمرات الثلاث في يومها بعد الزوال كما رميتها في اليوم الثاني عشر.

١٠- فإذا أردت الرجوع إلى بلدك فطف عند سفرك بالكعبة طواف الوداع سبعة أشواط. والحائض والنفساء ليس عليهما طواف الوداع.

زيارة المسجد النبوي في المدينة؛

١- تتوجه إلى المدينة قبل الحج أو بعده بنية زيارة المسجد النبوي والصلاة فيه ؛ لأن الصلاة فيه خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام .

٢- فإذا وصلت إلى المسجد فصل فيه ركعتين تحية المسجد أو صلاة الفريضة إن كانت قد أقيمت.

٣- ثم اذهب إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقف أمامه وسلم عليه قائلاً : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، صلى الله عليك وجزاك عن أمك خيراً .

ثم اخط عن يمينك خطوة أو خطوتين لتقف أمام أبي بكر وسلم عليه قائلاً : السلام عليك يا أبا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورحمة الله وبركاته ، رضي الله عنك وجزاك عن أمة محمد خيراً

ثم اخط عن يمينك خطوة أو خطوتين لتقف أمام عمر وسلم عليه قائلاً : السلام عليك يا عمر أمير المؤمنين ورحمة الله

مستقبل القبلة.

٤- فإذا غربت الشمس فسر من عرفة إلى مزدلفة وصل بها المغرب والعشاء والفجر، ثم امكث فيها للدعاء والذكر إلى قرب طلوع الشمس.

وإن كنت ضعيفاً لا تستطيع مزاحمة الناس عند الرمي فلا بأس أن تسير من مزدلفة إلى منى آخر الليل لترمي الجمرة قبل زحمة الناس.

٥- فإذا قرب طلوع الشمس فسر من مزدلفة إلى منى ، فإذا وصلت إليها فاعمل ما يلي:

أ- ارم جمرة العقبة ، وهي أقرب الجمرات

إلى مكة بسبع حصيات متعاقبات واحدة بعد الأخرى وكبر مع كل حصاة .

ب- اذبح الهدي وكل منه ووزع على الفقراء ، والهدي واجب على المتمتع والقارن .

ج- احلق رأسك أو قصره ، والحق أفضل (المراة تقصر منه بقدر أنملة).

تعمل هذه الثلاثة مبتدئاً بالرمي ثم الذبح ثم الحلق إن تيسر، وإن قدمت بعضها على بعض فلا حرج.

وبعد أن ترمي وتحلق أو تقصر تحلل التحلل الأول ؛ فتلبس ثيابك ويحل لك جميع محظورات الإحرام إلا النساء .

٦- ثم انزل إلى مكة وطف طواف الإفاضة (طواف الحج) واسع بين الصفا والمروة سعي الحج.

وبهذا حل التحلل الثاني ويحل لك جميع محظورات الإحرام حتى النساء .

- ثم اخرج بعد الطواف والسعي





و- ولا يلبس
القفازين وهما شراب
اليدنين ، فأما لف
اليدين بخرقه فلا بأس
به ، وهذه محظورات
على الذكر والأنثى .

ويختص الرجل بما يلي :

أ- لا يغطي رأسه
بملاصق ، فأما تظليله
بالشمسية وسقف
السيارة والخيمة
وحمل العفش عليه فلا
باس به .

ب- لا يلبس
القميص ولا العمام ولا
البرانس ولا السراويل
ولا الخفاف إلا إذا
لم يجد إزاراً فيلبس
السراويل ، أو لم يجد
نعلين فيلبس الخفاف .

ج- لا يلبس ما كان بمعنى ما سبق ،
فلا يلبس العباءة ولا القباء ولا الطاقية ولا
الفنية ونحوها .

- ويجوز أن يلبس النعلين والخاتم
ونظارة العين وسמاعة الأذن ، وأن يلبس
الساعة في يده أو يتقلدها في عنقه ، وأن
يلبس الهميان والمنطقة وهما ما تجعل فيه
النفقة ، ولو كان فيهما خياط .

- ويجوز أن يتنظف بغير ما فيه طيب
، وأن يغسل ويحك رأسه وبدنه ، وإن سقط
بذلك شعر بدون قصد فلا شيء عليه .

- والمرأة لا تلبس النقاب وهو ما تستر
به وجهها منقوباً لعينها فيه ، ولا تلبس
البرقع أيضاً . والسنة أن تكشف وجهها إلا
أن يراها رجال غير محارم لها فيجب عليها
ستره في حال الإحرام وغيرها .

والله الموفق ، وصلى الله وسلم على
نبيينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبركاته ، رضي الله عنك وجزاك عن أمة
محمد خيراً .

٤- وأخرج إلى مسجد قباء متطهراً
وصل فيه .

٥- وأخرج إلى البقيع وزر قبر عثمان
رضي الله عنه فقف أمامه وسلم عليه قائلاً :
السلام عليك يا عثمان أمير المؤمنين ورحمة
الله وبركاته ، رضي الله عنك وجزاك عن أمة
محمد خيراً ، وسلم على من في البقيع من
المسلمين .

٦- وأخرج إلى أحد وزر قبر حمزة رضي
الله عنه ومن معه من الشهداء هناك وسلم
عليهم ، وادع الله تعالى لهم بالمغفرة والرحمة
والرضوان .

فائدة :

- يجب على المحرم بحج أو عمرة ما
يلي :

١- أن يكون ملتزماً بما أوجب الله عليه
من شرائع دينه كالصلاة في أوقاتها مع
الجماعة .

٢- أن يتجنب ما نهى الله عنه من الرفث
والفسوق والعصيان (فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ
فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ)
(البقرة: ١٩٧) .

٣- أن يتجنب أذية المسلمين بالقول أو
الفعل عند المشاعر أو غيرها .

٤- أن يتجنب جميع محظورات الإحرام :
أ- فلا يأخذ شيئاً من شعره أو ظفره ،
فأما نقش الشوكة ونحوه فلا بأس به وإن
خرج الدم .

ب- ولا يتطيب بعد إحرامه في بدنه
أو ثوبه أو مأكوله أو مشروبه ، ولا يتنظف
بصابون مطيب ، فأما ما بقي من أثر الطيب
الذي تطيب به عند إحرامه فلا يضر .

ج- ولا يقتل الصيد ، وهو الحيوان
البري الحلال المتوحش أصلاً .

د- ولا يباشر لشهوة بلمس أو تقبيل أو
غيرهما ، وأشد من ذلك الجماع .

هـ- ولا يعقد النكاح لنفسه ولا غيره ،
ولا يخطب امرأة لنفسه ولا غيره .

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

اللهم احفظ
عبادك المؤمنين

قال الله تعالى في أذية أهل الصلاح:

«وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ

يَعْتَرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَسَلُوا بَهْتًا وَإِنَّمَا

مُيْتًا» [الأحزاب: ٥٨].

من فضائل الصحابة

الشیطان يهرب من عمر

عن سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّمَا يَا ابْنَ الْخَطَابِ! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيتُ الشَّيْطَانَ سَالِكًا فُجًا قَطُّ إِلَّا سَلَكَ فُجًا غَيْرَ فُجِّكَ.» (الفتح بالفتح: الطريق الواسع بين الجبلين) [صحيح البخاري ٦٣٨٣].

حكم ومواعظ

عن مالك بن دينار رحمه الله قال: إن البدن إذا سقم لا ينفع فيه طعام ولا شراب ولا نوم ولا راحة. وكذلك القلب إذا علق فيه حب الدنيا لم ينفع فيه المواعظ. فسمعه يقول: يقدر ما تحزن للدنيا كذلك يخرج هم الآخرة من قلبك، ويقدر ما تحزن للآخرة فكذلك يخرج هم الدنيا من قلبك. [صفة الصفوة لابن الجوزي].

منهج السلف في الفتوى

عن عبید الله بن ابی زید قال: كان ابن عباس إذا سئل عن الأمر فإن كان في القرآن أخبر به، وإن لم يكن في القرآن وكان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر به، فإن لم يكن في القرآن ولا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان عن أبي بكر أو عمر أخبر به، وإن لم يكن في شيء من ذلك اجتهد برأيه. [كنز العمال].

أفعال خاطئة

تعليق التمايم من الخرز الأزرق أو حدوة الحصان أو الودع أو الكف (خمسة وخميسة) أو قرن الفلفل، أو الحذاء القديم، أو الحظاظ، أو الأحجية على باب المنزل أو داخله أو في السيارة، اعتقاداً منك أن ذلك يمنع الحسد، فاعلم أن ذلك من الشرك. أعاذنا الله منه.

من الطيب النبوي

عن عبید الله بن علي بن أبي رافع عن جدته سلمى خادِم رسول الله -صلي الله عليه وسلم- قالت: مَا كَانَ أَحَدٌ يَشْتَكِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلي الله عليه وسلم- وَجَعًا فِي رَأْسِهِ، إِلَّا قَالَ: «اِحْتَجِمِ» وَلَا وَجَعًا فِي رِجْلَيْهِ إِلَّا قَالَ: «اُخْضِبْهُمَا» [سنن أبي داود ٣٨٦٠ وحسنه الألباني].

اعباد: علاء خضر

من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لقد رأيته في الحجر وقريش تسألني عن مسراي، فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها، فكربت كرباً ما كربت مثله، فرفعه الله لي أنظر إليه، ما يسألوني عن شيء إلا أنبأته" [صحيح مسلم رقم ١٧٢].

من هدي رسول الله

صلى الله عليه وسلم

الهدي الظاهر من النبوة!

عن عبد الله بن عباس- رضي الله عنهما- أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الهدى الصالح، والسمت الصالح، والاقتصاد، جزء من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة» [سنن أبي داود ٤٧٧٨ وحسنه الألباني].

من أقوال السلف

عن عبد الله بن مسعود قال في خطبته: يا أيها الناس، عليكم بالطاعة والجماعة، فإنها حبل الله عز وجل الذي أمر به. وما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة. [الشريعة للأجري].

من جوامع الدعاء

عن أبي اليسر قال: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو: اللهم إني أعوذ بك من الهدم، وأعوذ بك من التردي، وأعوذ بك من الغرق والحرق والهرم، الموت، وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند مدبري، وأعوذ بك أن أموت في سبيلك [سنن أبي داود ١٥٥٤ وصححه الألباني].

لا تكن من هؤلاء...

قل: ثمانية أن أهينوا فلا يلوموا إلا أنفسهم: الجالس في مجلس ليس له باهل، والمقبل بحديثه على من لا يسمعه، والداخل بين اثنين في حديثهما ولم يدخله فيه، والمتعرض لما لا يعنيه، والمتأخر على رب البيت في بيته، والآتي إلى مائدة بلا دعوة، وطالب الخير من أعدائه، والمستخف بقدر السلطان.

علامات أهل السنة

عن أبي القاسم عبد الجبار قال: سمعت سهل بن عبد الله التستري يقول -وقيل له متى يعلم الرجل أنه على السنة والجماعة- قال: إذا عرف من نفسه عشر خصال: لا يترك الجماعة، ولا يسب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يخرج على هذه الأمة بالسيف، ولا يكذب بالقدر، ولا يشك في الإيمان، ولا يماري في الدين، ولا يترك الصلاة على من يموت من أهل القبلة بالذنب، ولا يترك المسح على الخفين، ولا يترك الجماعة خلف كل وإل جَار أو عدل. [السنة للالكائي].

فتاوى

الحج والعمرة

يقول: « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » متفق عليه، وقال صلى الله عليه وسلم: « العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » متفق عليه، فالحج وغيره من صالح الأعمال من أسباب تكفير السيئات، إذا أداها العبد على وجهها الشرعي، لكن الكبائر لا بد لها من توبة؛ لما في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر » وذهب الإمام ابن المنذر رحمه الله وجماعة من أهل العلم إلى أن الحج المبرور يكفر جميع الذنوب؛ لظاهر الحديثين المذكورين.

ثانياً: يجوز الاتجار في مواسم الحج، أخرج الطبري في تفسيره بسنده، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: « لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ » وهو: لا حرج عليكم في الشراء والبيع قبل الإحرام وبعده .
وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

تكرار الحج

السؤال الأول من الفتوى رقم (٦٩٠٩)

حكم الحج

السؤال الثاني من الفتوى رقم (٦٣١٥)

س٢: نوع من الناس يقولون: إن الحج بابواب منازلهم، ويزيدون في قولهم بأن كل من ذهب إلى الديار المقدسة فإنه يرجع وقلبه خال من الرحمة، بل أشد قسوة، وهذا الرهط من البشر أغلبيتهم في استطاعتهم أداء الفريضة ولم يفعلوا. ما حكم من قال بهذا، وهل تطبق عليه نفس الآية المذكورة في الناقض الخامس كذلك؟

ج٢: الحج ركن من أركان الإسلام، فمن جحدته أو أبغضه بعد البيان فهو كافر، يستتاب فإن تاب وإلا قتل، ويجب على المستطيع أن يعجل بأداء فريضة الحج؛ لقوله تعالى: « وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ».

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

فضل الحج

السؤال الأول من الفتوى رقم (٦٦١٤)

س١: الحج المبرور هل يغفر كبائر الذنوب؟ ومتى تكون التجارة جائزة في الحج؟

ج١: أولاً: ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم



وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

حكم الاستدانة للحج

السؤال الثاني من الفتوى رقم (٢٤٤٨)

س٢: قبل خمسة أعوام طلبت مني والدتي الحج، وليس عندي ما يودينا إلى المشاعر، فاستلفت من رجل مائة ريال أوصلتنا هنا، وتلقاني بعض إخوتي وساعدنا على مناسك الحج بكل مكان، وبعد ظهر لي من والدتي التي تبلغ من العمر فوق ثمانين سنة الخوف أن يكون حجها غير جائز بسبب السلف، فما الحكم في ذلك؟

ج٢: ما ذكرت من السلف لأجل الحج لا يجعل حجك بأمك بهذا السلف غير مجزئ، بل هو مجزئ، تقبله الله وأجركما عليه، وأجر من أعانكما عليه بالسلف وغيره.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء..

شروط الاستطاعة للحج

الفتوى رقم (٥٥٣٣)

س: أنا رجل موسر الحال، ولي شقيقة، زوجها معسر الحال، وصار معه حادث وأصبح مديونا وغير قادر على سداد الدين؛ لأن عائلته كبيرة جدا، وهو المعيل الوحيد لعائلته، وأنا أدت فريضة الحج، وحججت مرتين، والآن أريد أن أحج للمرة الثالثة وأحجج شقيقتي على نفقتي الخاصة؛ لأنها لا تقدر أن تؤدي فريضة الحج، ما هو أفضل عند الله تعالى: أحجج شقيقتي وأنا معها، وإلا نفك عسر زوجها بمصاريف الحج وتكاليفه؟ أفيدوني جزاكم الله خيرا.

ج: إذا كان الواقع ما ذكر من أن زوج أختك تحمل ديونا وليس لديه سداها، فالأولى أن تقضي ديونه



س١: هل يستحسن الحج كل سنة لمن يرغب ذلك ولا يشق عليه أو الأفضل كل ثلاث سنوات مرة أو كل سنتين مرة؟

ج١: فرض الله الحج على كل مكلف مستطيع مرة في العمر، وما زاد على ذلك فهو تطوع وقربة يتقرب بها إلى الله، ولم يثبت في التطوع بالحج تحديد بعدد، وإنما يرجع تكراره إلى وضع المكلف المالي والصحي وحال من حوله من الأقارب والفقراء، وإلى اختلاف مصالح الأمة العامة ودعمه لها بنفسه وماله، وإلى منزلته في الأمة ونفعه لها حضرا أو سفرا في الحج وغيره، فلينظر كل إلى ظروفه وما هو أنفع له ولأمة فيقدمه على غيره.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء..

حكم تأجيل تأدية فريضة الحج

س: هل يجوز لي تأجيل تأدية فريضة الحج لعام آخر أو عامين، وأنا الذي قد توفر لي شرط الاستطاعة، من أجل زيارة الأهل والزوجة التي سأغيب عنها مدة سنتين إذا ما أدت فريضة الحج هذا العام، والمناسك ستوسط العطلة الصيفية ولن يتيسر لي أداء الحج وزيارة الأهل معا، فإما أن أحج وإما أن أزور الأهل فأؤجل الحج. أفوتونا مشكورين، وجزاكم الله عنا كل خير؟

ج: يجب على المسلم المبادرة إلى تأدية فريضة الحج متى كان مستطيعا؛ لأنه

لا يدري ماذا يحدث له لو أخره، وقد قال الله تعالى: « وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا » وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: « تعجلوا إلى الحج -يعني الفريضة- فإن أحذكم لا يدري ما يعرض له » خرجه الإمام أحمد رحمه الله . وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه

تعالى: « وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا » .
وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا
محمد وآله وصحبه وسلم.

**اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء،
حكم اشتراط المحرم للمرأة في الحج**

(٧٣١٦)

س٤: هل يجب على المرأة الحج إذا فقدت
الزوج أو المحرم وهي مستطية أو إذا
كانت في عدة الوفاة؟

ج٤: لا يجب الحج على المرأة إذا لم تجد
محرمًا لها يسافر معها إليه، ولا يجوز لها
أن تخرج إلى الحج وهي في عدة الوفاة.
وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا
محمد وآله وصحبه وسلم.

**اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء،
رجل مات ولم يقض فريضة الحج**

السؤال الثاني من الفتوى رقم (١٢٤١)

س٢: رجل مات ولم يقض فريضة الحج، وأوصى
أن يحج عنه من ماله ويسأل عن صحة الحجة،
وهل حج الغير مثل حجه لنفسه؟

ج٢: إذا مات المسلم ولم يقض فريضة
الحج وهو مستكمل لشروط وجوب الحج
وجب أن يحج عنه من ماله الذي خلفه
سواء أوصى بذلك أم لم يوص، وإذا حج
عنه غيره ممن يصح منه الحج وكان قد
أدى فريضة الحج عن نفسه صح حجه عنه
وأجزأ في سقوط الفرض عنه، وأما تقويم
حج المرء عن غيره هل هو كحجه عن نفسه
أو أقل فضلًا أو أكثر؟ فذلك راجع إلى
الله سبحانه، ولا شك أن الواجب
عليه المبادرة بالحج إذا استطاع
قبل أن يموت؛ للأدلة الشرعية
الدالة على ذلك، ويخشى عليه
من إثم التأخير.
وبالله التوفيق وصلى الله
على نبينا محمد وآله وصحبه
وسلم.

**اللجنة الدائمة للبحوث
العلمية والإفتاء،**

بما لديك، وتؤجل تحجيج أختك؛ لأن قضاء
دين زوجها وتفريغ كربتهما جميعاً أهم
من تحجيجها، وأنفع لهما جميعاً، وليس
عليها حج حتى تستطيع.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا
محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء،

حكم الذي مات ولم يجب عليه الحج هل يحج عنه؟

السؤال الأول من الفتوى رقم (١٣٧٥)

س١: هل أحج عن والدي اللذين ماتا ولم
تجب عليهما فريضة الحج لفقرهما، إلا أنني
أردت الحج عنهما؟ ولذا أريد حكم الشرع
فيه.

ج١: يجوز لك أن تحج عن والديك بنفسك،
إذا كنت أنت حججت عن نفسك، لما روى أبو
داود في سننه عن عبد الله بن عباس رضي
الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم
« سمع رجلاً يقول: لبيك عن شبرمة، قال:
« من شبرمة ؟ » قال: أخ لي، أو قريب لي،
قال: « حججت عن نفسك؟ » قال: لا، قال: « حج
عن نفسك، ثم حج عن شبرمة » وأخرجه ابن
ماجه قال البيهقي : هذا إسناد صحيح،
ليس في الباب أصح منه.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا
محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء،

حج عن أمه ولم يحج عن والده، هل عليه إثم؟

الفتوى رقم (١٧٥٣)

س: حججت لأمي بعد وفاتها ولم

أحج لوالدي بعد وفاته، فهل

علي إثم في ترك الحج

لوالدي؟

ج: ليس عليك إثم في ترك
الحج لوالدك؛ لأنه ليس
بواجب عليك أن تحج له،
ولكن من البر والإحسان
أن تحج عنه، وهو داخل
في عموم الإحسان الذي
أمر الله به في قوله



الحمد لله وكفى والصلاة والسلام
على عبده المصطفى، وبعد:

فحينما كنت أقرأ قوله تعالى (وَلَقَدْ
دَرَأْنَا لَهُمْ كَثِيرًا مِّنَ الْحِجْرِ وَالْأَنْصَابِ ثُمَّ
قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا
وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ
أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) [الأعراف: ١٧٩]

كنت أتعجب من هذا الصنف من البشر
الذي تردى إلى أسفل سافلين، حتى
أصبح أضل من الأنعام، فلم يحسن
استغلال نعم الله وفق ما أراده الله
له، فأغلق قلبه عن قبول الحق، حتى
ران على قلبه ما كان يكسبه، (كَلَّا بَلْ
رَأَى عَلَى قُلُوبِهِمْ مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ) [المطففين
١٤]، وأصبح قلبه (أسود مربادا - أي
أسود به قليل من البياض - كالكوز
مجخيا - أي كالكوز المقلوب - لا
يعرف معروفا ولا ينكر منكرا إلا ما
أشرب من هواه) [رواه مسلم].

وأغلق بصره عن رؤية الحق وأصر
على تغطيته (الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ
عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا) [الكهف
١٠١]، ونسي آيات ربه فكان في الدنيا
أعمى البصيرة، واستحق أن يحشره
الله أعمى البصر فالجزاء من جنس
العمل (وَمَن كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي
الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا) [الإسراء ٧٢]،
(وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً
ضَنْكًا وَمُحْشَرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى) (١٢٥) قَالَ
رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥)
قَالَ كَذَلِكَ أَنتَكَ ءَابِتُنَا فَنَسِينَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِي

[طه ١٢٦]، وحجب سمعه عن سماع
الحق واستمتع بسماع الباطل وتلذذ
بسماع الكذب (سَمْعُوتَ لِلْكَذِبِ)
[المائدة ٤١]، فلم يقبل الهدى (وَلِئِنْ
تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ
إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) [الأعراف ١٩٨].

موقف الغافلين

من الأحداث

الجارية

المستشار / أحمد السيد علي

إعداد

عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا.» [رواه البخاري]، وقوله «كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه» [رواه مسلم].

بينما يهب كالليث منافحاً ومدافعاً عن أي اعتداء على أمواله أو أموال موافقيه في الرأي، فيكيل بمكيالين، فلا يرضى لأخيه ما يرضاه لنفسه فصار بذلك من الغافلين، وإن لم يتب، استحق وعيد رب العالمين.

ثانياً: انتهاك أعراض النساء:

متغافلاً عن قوله تعالى «وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَجِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا» [الاسراء: ٣٢]، وقوله تعالى: «وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ۖ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا» [الفرقان: ٦٨-٧٠].

ثالثاً: انتهاك بيوت الله:

متغافلاً عن قوله تعالى: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسِعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ» [البقرة: ١١٤]، وقوله صلى الله عليه وسلم: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه داره فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن قال: فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد» [رواه أبو داود وصححه الألباني].

نوع آخر من الغافلين:

ونوع آخر من الغافلين ينسب إلى المتزمتين بشرع رب العالمين، ومن مظاهر غفلته هذه الأيام المملوءة بالفتن العظام، هذه الجسام:

فاستحق أن يطبع الله على هذه النعم لغفلته، جزاءً وفاقاً (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمِعَتْهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) [النحل: ١٠٨].

وأن يسوقه مع أقرانه من الجن والإنس، إلى جهنم وبئس المصير، فإن كان كافراً، كان خالداً فيها، وإن كان مسلماً، مكث فيها معذباً، ما شاء الله له أن يمكث، واليوم، وأنا أرى من المسلمين من حجب قلبه وغطى بصره، وسمعه عن قبول الحق، وأسلم قياده لسحرة الإعلام، فصدق الكاذبين، وكذب الصادقين، واثتمن الخائنين، وخون الأمناء، واتبع الرويضة، فأصبحوا عنده أئمة الهدى ومصابيح الدجى، لا يستقي معلومة إلا منهم، فما قالوه هو الحق، وما نفوه هو الباطل، وأدار ظهره لحديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه أبو هريرة (سيأتي على الناس سنوات خداعات، يُصدق فيها الكاذب، ويُكذب فيها الصادق، ويُؤتمن فيها الخائن، ويخون الأمين، وينطق فيها الرويضة. قيل: وما الرويضة؟ قال: الرجل النافه يتكلم في أمر العامة) [صحيح الجامع الصغير للألباني].

وإذا أراد أحدهم أن يذكره ببطلان ما هو عليه، وسوء العاقبة، رماه بكل نقيسة، ونعته بكل خسيصة، وسلقه بلسان حاد، وأنذره سوء العقاب، إن لم يرجع إلى جادة الصواب، وظن المسكين أنه بهذا يتقرب إلى العزيز الوهاب، ومن مظاهر غفلته هذه الأيام المملوءة بالفتن العظام، هذه الجسام:

أولاً: سفك الدم الحرام:

فتراه متغافلاً عن قوله صلى الله عليه وسلم «فإن دمائكم وأموالكم وأعراضكم

أولاً: المسارعة بتكفير المسلمين:

فبعدما رأى المسكين مرارة الواقع وضغوطه من قتل واعتداء سارع بتكفير المعتدين والراضين بفعلتهم من المصريين، متغافلاً عن قوله صلى الله عليه وسلم « أَيْمًا امْرِئٍ قَالَ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ. فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا. إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ. وَإِلَّا رَجَعْتَ عَلَيْهِ » [رواه مسلم].

والقتل كبيرة من أعظم الكبائر يأتي بعد الشرك بالله في العظم، إلا أن مرتكبه ليس كافراً، قال تعالى «وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخَلَّدْ فِيهِ ۚ مُهْتَكًا ۖ (٦٨) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا » [الفرقان ٦٨ / ٧٠]،

وقوله صلى الله عليه وسلم «اجتنبوا السبع الموبقات. قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات» [رواه البخاري ومسلم].

ومن ثم فلا يجوز تكفير القاتلين، ومن ثم صاروا بفعلتهم من الغافلين، وإن لم يتوبوا، استحقوا وعيد رب العالمين.

ثانياً: المسارعة بقتل المسلمين:

وللأسف فإن البعض لم ينضبط بضوابط الشرع بعدما رأى قتل أقاربه أو أصدقائه، فسارع البعض بالانتقام قتلاً، ومنهم من أجاز ذلك، ومنهم من ارتضاه، ولا شك أن هذا مخالف للشرع؛ فهذا إسراف في القتل نهى عنه الله بقوله «وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا» [الإسراء ٣٣]، فكانوا بذلك من الغافلين، وإن لم يتوبوا، استحقوا وعيد رب العالمين.

ثالثاً: سب وشتم وتخوين علماء المسلمين:

فما يحدث من بعض الملتزمين، بل ومن بعض الشيوخ، في حق أقرانهم يندى له الجبين، من تخوين، وسب وشتم بالفاظ، يعف اللسان عن ذكرها، لمجرد اختلافهم في مسألة المشاركة في الاعتصامات من عدمها، فجعل البعض الولاء والبراء منعقداً عليها، وسقطت حرمة أهل العلم، وصارت أعراض المخالفين كلاً مباحاً للكبائر والصغار بلغ فيه الجميع، بغير خوف من الله وبغير امتثال لنهى النبي صلى الله عليه وسلم عنه بقوله «سباب المسلم فسوق» [رواه البخاري ومسلم].

وبغير تقدير لمكانة العلماء التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنَحَتَهَا رِضَاءً لِطَالِبِ الْعِلْمِ وَإِنَّ الْعَالَمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَتَّى الْحِيتَانِ فِي الْمَاءِ وَفُضِّلَ الْعَالَمُ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يورثوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرثوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَ بِهِ فَقَدْ أَخَذَ بِحِظِّ وَافِرٍ» [رواه الترمذي وصححه الألباني]، وبغير عذر للمخالفين في الاجتهاد حتى وإن أخطأوا. فصاروا بفعلتهم من الغافلين وإن لم يتوبوا استحقوا وعيد رب العالمين.

وأخيراً أسأل الله أن يؤلف بين قلوب المسلمين وأن يجمع كلمتهم ويرفع رايتهم ويجعل بأسهم على عدوهم شديداً، وأن يحتكموا لصوت العقل بأن يجلس الطرفان للاحتكام لشرع الله، ويضعوا الحلول والمبادرات التي تجنب البلاد فتنة الحرب الأهلية، محل التنفيذ. والله الموفق.

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا
نبي بعده، وبعد:

إن الكليات من قرائن السياق العامة التي تُستخدم
لفهم النصوص الشرعية، وفي توجيه النصوص
الجزئية (الأدلة الخاصة).

فَرَدَّ الجزئيات إلى الكليات هو نوع من ردِّ
المتشابهات إلى المحكمات، فكلّيات الشريعة
ومقاصدها العامة، هي أصول قطعية لكل
اجتهاد.

بداية ما هي الكليات العامة؟

شرع الله يدور حول جلب المصالح ودرء المفاسد ،
أو بعبارة أخرى يدور حول المصلحة ، وما يحقق
هذه المصلحة هو ما يعرف عند الأصوليين بالكليات
العامة ، وقد قسم الأصوليون المصالح إلى ثلاثة
أقسام ، يقول القرافي: «قد تقرر في أصول الفقه
أن المصالح إمّا في محل الضروريات، أو في محل
الحاجيات، أو في محل التمتّات (التحسينيات)» .
(انظر: الفروق ٣٤/٤).

ولا بد للفقيه من مراعاة ترتيب هذه الكليات؛ لأن
النظر في أي مسألة يجب أن يقاس بما تتصل به
من هذه المصالح.

فما كان من الضروريات الخمس أو له صلة بها ،
ينبغي عليه تحصيلها وحمايتها، فله المقام الأول
في الاعتبار، ثم الحاجيات ثم التحسينيات، فهما
كالمتممات للضروريات الخمس.

وكذلك الضروريات الخمس متفاوتة فيما بينها،
فحفظ الدين يُستَرخَص لأجله النفس والمال،
وحفظ النفس مقدم على حفظ المال... وهكذا.

أولاً: الضروريات

وهي المصالح التي تتضمن حفظ مقصود من
المقاصد الخمسة: الدين، النفس، العقل، النسب
(النسل)، المال.

وعرّفها الشاطبي بأنها: «لا بد منها في قيام
مصالح الدين والدنيا؛ بحيث إذا فقدت لم تجر
مصالح الدنيا على استقامتها، بل على فساد
وتهاجر وفوت حياة، وفي الأخرى (الحياة الآخرة)
فوت النجاة والنعيم، والرجوع بالخسران المبين» .
[الموافقات: ١٧/٢، ١٨].

فهي الأمور التي عُرف من الشارع الالتفات إليها
في جميع أحكامه، ويستحيل أن يفوتها في شيء
من أحكامه لكون كل واحد منها يعتبر ركناً من
الأركان التي لا تقوم الحياة البشرية إلا بها،
وجميع التكاليف الشرعية تدور حولها بالحفظ
والصيانة. [انظر: معالم أصول الفقه للجيزاني



دراسات شرعية

أثر السياق في فهم النص

ما بين الكليات العامة والأدلة الخاصة



متولي البراجيلي

إعداد /

٢٤٤، والمهذب في علم أصول الفقه د. عبد الكريم النملة
[١٠٠٥/٣].

الضرورة الأولى: حفظ الدين؛

الدين هو الأساس، وحجر الزاوية، لكل أمورنا
وتعاملاتنا وأقوالنا وأفعالنا، وكل شيء، وهو مقدم
على حفظ النفس والمال والأهل.
وقد شرع الله تعالى لحفظه تشريعات عدة، منها:

أ- الجهاد:

والجهاد يكون باللسان ويكون باللسان، أما الجهاد
باللسان:

فقد ورد في فضله أدلة كثيرة، منها قوله تعالى: «لَا
يَسْتَوِي الْقَائِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَائِدِينَ
دَرَجَةً وَلَا وَعَدَ اللَّهُ الْخَسَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَائِدِينَ أَجْرًا
عَظِيمًا» [النساء: ٩٥].

واحاديث كثيرة، منها عن أبي قتادة رضي الله عنه:
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فيهم فذكر أن
الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال.
[صحيح مسلم].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال: ألا أخبركم بخير الناس منزلاً؟
قلنا: بلى يا رسول الله، قال: رجل أخذ برأس فرسه
في سبيل الله عز وجل حتى يموت أو يُقتل.. الحديث.
(صحيح سنن النسائي للالباني).

وأما الجهاد باللسان فيكون بأمور كثيرة منها: الدعوة
إلى الله. قال الله تعالى: «فَلَا تَطْغَوْا فِي الْكِبَرِ وَجَاهِدْهُمْ
بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا» [الفرقان: ٥٢].

يقول ابن القيم: «فهذه سورة مكية أمر فيها بجهاد
الكفار، بالحجة، والبيان، وتبليغ القرآن، وكذلك جهاد
المنافقين، إنما هو بتبليغ الحجة، وإلا فهم تحت قهر
أهل الإسلام، قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ
وَالْمُنَافِقِينَ وَاعْلَظْ عَلَيْهِمْ وَمَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَفَسَّ الْمَصِيرُ»
[التوبة: ٧٣].

فجهاد المنافقين أصعب من جهاد الكفار، وهو جهاد
خواص الأمة، وورثة الرسل، والقائمون به، أفراد في
العالم، والمشاركون فيه والمعاونون عليه وإن كان هم
الأقلية عدداً، فهم الأعظمون عند الله قدراً. [زاد المعاد
٥/٣].

ومن الجهاد باللسان: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
: فكما هو معلوم فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
فرض (بضوابطه) على هذه الأمة.
قال الله تعالى: «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ
بِالنَّعْرِفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ» [آل
عمران: ١١٠].

وقد سُمي النبي صلى الله عليه وسلم الأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر جهاداً، فعن ابن مسعود رضي الله
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما من نبي
بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون
وأصحاب يأخذون بسنته ويقومون بأمره، ثم إنها
تخلف من بعدهم خلوف، يقولون ما لا يفعلون،
وفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن،
ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من
الإيمان حبة خردل. [صحيح مسلم].

ب- قتل المرتدين:

المرتد هو من أسلم ثم عاد للكفر مرة ثانية، وفي حديث
ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال: «من بذل دينه فاقتلوه». [صحيح
البخاري].

وقتل المرتد يكون حماية لغيره من اقتفاء أثره،
والتشبه بمسلكه، فلو لم يعاقب المرتد لاتخذ الناس
دين الله هزواً ولعباً، فيسلم أحدهم اليوم ويكفر
غداً، ويسلم غداً ويكفر بعد غد بلا مبالاة، بدعوى
حرية المعتقد.

فالإسلام لا يُكره أحداً على الدخول فيه، لكن من دخله
بعد التروي والتفكير والافتناع فليس له الخروج منه.
فشدد الإسلام العقوبة حتى لا تكون الردة وسيلة
لأعداء الإسلام أن يدخل منهم جماعة كثيرة في
الدين، ثم يرتدوا جملة واحدة ليوقعوا الشك في
قلوب المؤمنين، كما قال الله تعالى: «وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ
أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَجْهَ النَّهَارِ
وَآخِرُهَا وَعَلَهُمْ يُرْجَعُونَ» [آل عمران: ٧٢].

ج- النهي عن البدع:

والبدعة هي: أن يتعبد الإنسان ربه بما لم يشرعه من
عقيدة أو قول أو فعل.

وقد حذر الإسلام من كل أنواع البدع، كبيرها وصغيرها،
ففي حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم: «أما بعد، فإن خير الحديث كتاب
الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها،
وكل بدعة ضلالة». [صحيح مسلم].

الضرورة الثانية: حفظ النفس؛

النفس البشرية هي أعظم ما يمتلكه الإنسان بعد دينه،
وهي قوام الحياة، لذلك نهى المشرع أشد النهي عن
إزهاقها، وشرع حد القصاص على القاتل العمد: «يَا أَيُّهَا
النَّبِيُّ أَمْثَلُكُمْ كَيْفَ عَلَيْكُمُ الْقُصَاصُ فِي الْقَتْلِ أَمْ لَمْ يَأْمُرْ بِالْعَمْدِ وَالْعَمْدُ بِالْعَمْدِ
وَالْأَنْفِ بِالْأَنْفِ» [البقرة: ١٧٨]. وكذلك الدية بضوابطها،
هذا في الحياة الدنيا، أما في الآخرة فقد تواعد القاتل
بعقوبات رادعة، قال الله تعالى: «وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا
مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ
وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا» [النساء: ٩٣].

قال ابن بطال: اختلف العلماء في القاتل هل له توبة،

وجعل حد الخمر على شارب الخمر، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه أمر عبد الله بن جعفر أن يجلد الوليد بن عقبة، فجلده، وعليّ يحدّ حتى بلغ أربعين، فقال: امسك، ثم قال: جلد النبي صلى الله عليه وسلم أربعين، وجلد أبو بكر أربعين، وعمر ثمانين، وكل سنة، وهذا أحب إليّ. [صحيح مسلم].

فاتفق الفقهاء على وجوب حد شارب الخمر، ولكنهم مختلفون في مقداره على قولين:

القول الأول: ذهب الحنفية والمالكية والحنابلة في الراجح عندهم إلى أن الحد ثمانون جلدة، لا فرق بين الذكر والأنثى، وبه قال الثوري، واستدلوا على ذلك بإجماع الصحابة.

القول الثاني: ذهب الشافعية في الأصح والحنابلة في رواية ثانية إلى أن قدر الحد أربعون فقط، ولو رأى الإمام بلوغه ثمانين جاز في الأصح عند الشافعية، والزيادة على الأربعين تكون تعزيراً. [انظر الموسوعة الفقهية ٩٦، ٩٥/٢٥].

الضرورة الرابعة: حفظ النسب (النسل)

فحرم الله الزنا، قال الله تعالى: «وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَحْشًا وَسَاءَ سَبِيلًا» [الإسراء: ٣٢].

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن». [متفق عليه].

وشرّع حد الزنا لغير المحصن، قال الله تعالى: «الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمَا بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَشَهِدَ عَلَيْهِمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ» [النور: ٢].

أما الزاني المحصن (وهو المتزوج أو سبق له الزواج)، فحدّه الرجم إلى الموت، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم برجم ماعز والغامدية وغيرهما.

كما شرّع حد القذف حفظاً للأعراض من الخوض فيها.

قال الله تعالى: «وَالَّذِينَ يَزْنُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شَهَدَةٍ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا يَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةٌ أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» [النور: ٤].

كما شرّع أحكام الحضانة والنفقات وغير ذلك..

٥- حفظ المال، الضرورة الخامسة:

فحرم الله تعالى السرقة، وجعل حد السارق قطع يده، قال الله تعالى: «وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» [المائدة: ٣٨].

كما شرّع القواعد المنظمة للمعاملات المختلفة بين الناس لصيانة الحقوق. [المهذب ٣/١٠٠٥].

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

لاختلافهم في تاويل (تفسير) هذه الآية، فروى عن زيد بن ثابت، وابن مسعود، وابن عباس، وابن عمر أنه لا توبة له، وأن قوله تعالى: «وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ حَبْلًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا» [النساء: ٩٣]، غير منسوخة،

وإنما نزلت بعد الآية البينة التي في سورة الفرقان التي فيها توبة القاتل بستة أشهر، ونزلت آية الفرقان في «الْأَمْرَ تَابَ وَآمَرَ وَعَمِلَ غَمَلًا فَارْتَدَّ عَلَىٰ عِقْدٍ يُدْرِكُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَبْنَتًا وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا» [الفرقان: ٧٠].

في أهل الشرك، ونزلت آية النساء: «وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ حَبْلًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا» [النساء: ٩٣] في

المؤمنين.

وروى سعيد بن مينا عن ابن عمر أنه سأل رجل، فقال: إني قتل رجلًا فهل لي من توبة؟ قال: تزود من الماء البارد، فإنك لا تدخلها أبداً.

وروي عن علي بن أبي طالب وابن عباس وابن عمر أن القاتل له توبة، من طرق لا يحتج بها. [شرح صحيح البخاري لابن بطال ٤٩٢/٨].

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً». [صحيح البخاري].

المعنى: أنه في أي ذنب وقع كان له في الدين والشريعة مخرج إلا القتل، فإن أمره صعب. [كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي ٥٩٠/٢].

وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أول ما يُقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء». [متفق عليه].

وعن المقداد بن عمرو رضي الله عنه قال: يا رسول الله، إني لقيت كافراً، فاقتلتنا فضرب يدي بالسيف فقطعها، ثم لاذ مني بشجرة، وقال: أسلمت لله، أقتله بعد أن قالها؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تقتله. قال: يا رسول الله، فإنه طرح إحدى يدي، ثم قال ذلك بعد ما قطعها، أقتله؟ قال: لا تقتله، فإن قتلته فإنه بمنزلك قبل أن تقتله، وأنت بمنزلة قبل أن يقول كلمته التي قالها. [صحيح البخاري].

كما شرّع لحفظ النفس: وجوب الأكل والشرب عند الضرورة، وشرع اللبس والسكن مما يتوقف عليه بقاء الحياة وصون الأبدان من التلف أو أي ضرر.

الضرورة الثالثة: حفظ العقل

شرع الله تعالى لحفظ العقل كل ما من شأنه أن يغيب العقل، فحرم الخمر وكل ما يؤدي إلى غياب العقل، قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا جَعَلْنَا الْخَمْرَ وَالْأَسْهَارَ وَالْأَرْذَلِمْ وَجَسْنَ مِنَ الشَّيْطَانِ فَأَجْزَيْتُمْ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ» [المائدة: ٩٠].

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله
وآله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فهذا لقاءنا الثاني مع قصة يأجوج ومأجوج،
وقد تحدثنا في اللقاء السابق عن كثرة اضطراب
أقوال المؤرخين والمفسرين في قصة يأجوج
ومأجوج، وهذه الاضطرابات الكثيرة تعود في
أصلها إلى أمرين أساسيين:

الأول: التأثير بالكشوف الحديثة، وبالتالي تقديم
الهوى والرأي على الشرع.

الثاني: التأثير بما جاء عن بني إسرائيل، ومحاولة
تطويع القرآن والسنة لموافقة هذه الأخبار، وهذا
اجتهاد فيه خطأ وصواب، وقد عرضنا في المقال
السابق لأمثلة من النوعين، وبيننا خطأ الشرع،
واليوم نرد على أصحاب الاتجاه الثاني المتأثر
بمرويات بني إسرائيل، وفي مقدمتهم العالم
الهندي المعروف أبو الكلام آزاد، ومع تقديرنا
لجهده في البحث واجتهاده، لكن الشيخ رحمه
الله أقام بحثه انطلاقاً من كتب بني إسرائيل
وعلى تفصيلات جاءت فيها ليست في القرآن
ولا في السنة الصحيحة، وهذا الذي دعاني
إلى تصدير هذا المقال بالآية الكريمة من سورة
النمل، وقد سبق هذه الآية الكريمة آية أخرى هي
قوله تعالى: «وَمِمَّنْ عَلَيْهِ السَّلَ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كَنْبٍ

شَيْنٍ» [النمل: ٧٥]، وجاء بعدها: «وَأَنَّهُ هَدَىٰ وَرَحْمَةً
لِّلْمُؤْمِنِينَ» (٧٦) إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْعَلِيمُ (٧٧) فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ» [النمل: ٧٧].

فتأمل أخي كيف وجَّه القرآن الكريم خطابه إلى
النبي محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى:
«فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ» [النمل: ٧٩]؛ لأن
هذا الحق الواضح من عند الله الذي لا تخفى عليه
خافية في الأرض ولا في السماء، «فسبحانه» هو
الذي يخبرك بالحق، وهو الذي نزل عليك الكتاب
بالحق، وهو الذي أرسلك بالحق، فتوكل عليه في
تبليغ ما جاءك من الحق، وقد جعله الله رحمة
وهداية للمؤمنين.

قال الشيخ ابن عاشور رحمه الله في تفسير
الآية (٧٦) من سورة النمل: «إبطال لقول الذين
كفروا «إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ» [النمل: ٦٨]، وله
مناسبة بقوله تعالى: «وَمِمَّنْ عَلَيْهِ السَّلَ وَالْأَرْضِ
إِلَّا فِي كَنْبٍ شَيْنٍ» [النمل: ٧٥]، فإن القرآن وحي من
عند الله إلى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم،
فكل ما فيه فهو من آثار علم الله تعالى، فإذا أراد
الله تعليم المسلمين شيئاً مما يشتمل عليه القرآن
فهو العلم الحق إذا بلغت الأفهام إلى إدراك المراد

القصة في كتاب الله

يأجوج ومأجوج

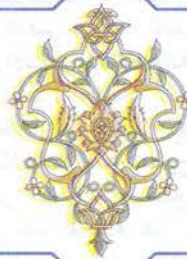
« إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقْضَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ
أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ »

[النمل: ٧٦]

الحلقة الثانية

عبد الرزاق السيد عيد

إعداد



منه على حسب مراتب الدلالة التي أصولها في علم العربية وفي علم أصول الفقه.

ومن ذلك ما اشتمل عليه القرآن من تحقيق أمور الشرائع الماضية والأهم الغابرة مما تخبطت فيه كتب بني إسرائيل من جراء ما طرأ على كتبهم من النشبت والتلاشي وسوء النقل من لغة إلى لغة في عصور انحطاط الأمة الإسرائيلية، ولما في القرآن من الأصول الصريحة في التعريف بالله مما يكشف سوء تاويل بني إسرائيل وتحريفهم لكلمات كتابهم؛ فإنك لا تجد في التوراة ما يساوي قوله تعالى: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» [الشورى: ١١]. وقد قصّ عليهم القرآن أكثر ما اختلفوا فيه، وبَيَّن لهم الحق الواضح في الإخبار بالغيب وفي العقيدة والأخلاق والمعاملات. اهـ بتصرف.

فإذا كانت مهمة القرآن الكريم هي تصحيح ما حرّفه بنو إسرائيل، فهل يصح الاعتماد على مروياتهم فيما أخبرنا به القرآن؟ وقد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك تحريف اليهود للتوراة والإنجيل، ولم يستطيعوا تحريف القرآن رغم محاولاتهم المتعددة؛ لأن الله تكفل بحفظه، وقد جاء القرآن تبلياً لكل شيء بما يغنينا عن غيره، فلماذا يقع البعض أسرى الإسرائيليات؟ لنرى موقف الشرع في هذه القصة وآراء العلماء الأثبات.

موقف العلماء من الإسرائيليات على سبيل الإجمال:

ذكر البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدث الأخبار بالله، تقرؤونه محضاً لم يُشَبَّ، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدّلوا كتاب الله وغيره، وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا: «هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَ رَأْيُنَا» [البقرة: ٧٩]، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم، لا والله ما رأينا منهم رجلاً قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم.» [صحيح البخاري: ٢٦٨٥].

رأى النبي صلى الله عليه وسلم في يد عمر بن الخطاب صحيفة من التوراة فسأله: «ما هذا في يدك يا عمر؟» قال: يا رسول الله، كتاب نسخته لنزداد به علماً إلى علمنا، فغضب رسول الله حتى احمرت وجنتاه ثم نوّدي بالصلاة جامعة، فقالت الأنصار: أغضب نبيكم؟ السلاح السلاح، فجاءوا حتى أحدقوا منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «يا أيها الناس، إني قد أوتيت جوامع الكلم وخواتيمه، واختصّر لي اختصاراً، ولقد أتيتكم بها بيضاء نقية فلا تهوكوا، ولا يغرنكم المتهوكون. قال عمر: فقميت، فقلت: رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبك رسولاً.»

رواه أبو يعلى بسند فيه ضعف وذكره ابن كثير في تفسيره وذكر له شواهد متعددة تحسنه، والله أعلم.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «... وفي القرآن غنية عن كل ما عدها من الأخبار المتقدمة؛ لأنها لا تكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان، وقد وضع فيها أشياء كثيرة، وليس لهم من الحفاظ المتقين الذين ينفون عنها تحريف الغالين، وانتحال المبطلين؛ كما لهذه الأمة من الأئمة والعلماء والسادة والأتقياء، والبررة والنجباء من الجهابذة النقاد والحفاظ الجياد...» اهـ. مختصراً. [تفسير ابن كثير ٣/ ١١٠].

خلاصة القول

وقد قسم أهل العلم ما جاء عن بني إسرائيل إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: وهو الصحيح الذي علمنا صحته من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وهذا القسم مع صحته فعندنا غنية عنه من كتاب ربنا وسنة نبينا، ولكن يجوز روايته للاستشهاد به، وإقامة الحجة عليهم من كتبهم، هذا القسم ورد فيه قول النبي صلى الله عليه وسلم: «بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» رواه البخاري.

القسم الثاني: ما علمنا كذبه؛ لأنه يخالف ما جاء في كتاب ربنا وسنة نبينا، فهذا لا يجوز روايته بحال، واعتقد أن هذا النوع الذي جاء التحذير فيه فيما سبق من قصة عمر وموعظة ابن عباس، وقال الإمام مالك رحمه الله في حديث «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج» (المراد به جواز التحديث عنهم بما كان من أمر حسن، أما ما عُلم كذبه فلا). [فتح الباري].

القسم الثالث: ما هو مسكوت عنه لا من الصحيح ولا من المكذوب، ولعل هذا القسم هو المراد بما رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا: «مَا بَالُ الرَّسُولِ إِنْ أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ» [العنكبوت: ٤٦]» رواه البخاري.

ولقد اطلت النفس في هذا الباب؛ لكثرة من فتن به، وخاصة في الأخبار المتعلقة بالغيب وأشراف الساعة؛ حيث امتلأت كتب العابثين بأشراط الساعة بعشرات الأخبار المنقولة عن كتب اليهود والنصارى دون تمحيص، ولما كانت قصة ياجوج وماجوج من أشراف الساعة، ومن الأمور التي ستقع إن شاء الله في زمن نزول عيسى عليه السلام، كان لا بد من الوقوف عند الصحيح الذي جاء به القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا ما سنتناوله في اللقاء القادم بإذن الله، فإلى ذلك إن شاء الله. والحمد لله رب العالمين.

مواقف وعبر من صلح الحديبية

الحلقة الأولى



جمال عبد الرحمن

اعداد

بِالْفَنَاءِ الَّتِي يُهَيِّطُ عَلَيْهِمْ مِنْهَا بِرَكَّتْ بِهِ رَأَحِلَتُهُ، فَقَالَ النَّاسُ: حَلَّ حَلٌّ فَأَلْحَتْ، (أَيَّ تَحْرِكِي فَأَصْرَتْ عَلَى الْبُرُوكِ) فَقَالُوا: خَالَتِ الْقُصُوءُ، خَالَتِ الْقُصُوءُ، (تَعَبْتَ) فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا خَالَتِ الْقُصُوءُ، وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ»-. والمقصود أن الله تعالى هو الذي حبس الناقة عن الحركة كما حبس فيل أبرهة عن دخول مكة لما جاء أبرهة ليهدم الكعبة، وفي حبس الناقة عبرة عظيمة، وهي أن الله تعالى أراد أن ينبيه النبي صلى الله عليه وسلم أنه قد وصل حدود الحرم لكيلا يدخل مقتحماً مكة على قريش فيهبوا لقتاله، ليتفادى القتال في الحرم لو صده المشركون عن دخول البيت الحرام ومنعوه من العمرة، ولذلك التزم النبي تعظيم حرَمَاتِ اللَّهِ . فقال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعْظَمُونَ فِيهَا حُرَمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ أَيَّاهَا» ، ثُمَّ زَجَرَهَا (الناقة) فَوَثَبَتْ، قَالَ: فَعَدَلَ عَنْهُمْ حَتَّى نَزَلَ بِأَقْصَى الْحَدِيثِ عَلَى تَمَدٍ (حفرة) قَلِيلِ الْمَاءِ، يَتَبَرَّضُهُ النَّاسُ تَبَرُّضًا (يَأْخُذُونَ مِنْهُ بِحَسَابٍ)، فَلَمْ يَلْبَثْهُ النَّاسُ حَتَّى نَزَحُوهُ، وَشَكِيَ إِلَى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعد... فإن في سيرة الحبيب محمد المنهج والأسوة، والهداية بالقُدوة، وكذا العظة والعبرة، وكم من مواقف في حياتنا لا تحل إلا بقياسها على نظيرها من سيرة المختار سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

ولهذا ألقى هذه النظرات على حادثة في التاريخ الإسلامي كانت فتحةً وهدياً، وأكثر ما نحتاجها- من وجهة نظري- في زمننا هذا الغريب الذي نعيشه، بل لا يستغني عن قبسها ونورها إلا غير موفق.

روى البخاري رحمه الله من حديث المسور بن مخرمة، ومروان، يُصَدِّقُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدِيثَ صَاحِبِهِ، قَالَا: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَمَنَ الْحَدِيثِ - وَكَانَ ذَلِكَ فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ- حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ (ولم يكن أسلم بعد) بِالْعَمِيمِ (مكان بين مكة والمدينة) فِي خَيْلٍ لِقُرَيْشٍ طَلِيعَةٍ (مقدمة الجيش)، فَخَذُوا ذَاتَ الْيَمِينِ» فَوَاللَّهِ مَا شَعَرَ بِهِمْ خَالِدٌ حَتَّى إِذَا هُمْ بِقَفْزَةِ الْجَيْشِ (الغبار الأسود)، فَأَنْطَلَقَ يَرْكُضُ نَذِيرًا لِقُرَيْشٍ، وَسَارَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى إِذَا كَانَ

مَا سَمِعْتَهُ ، قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا ، فَحَدَّثْتُهُمْ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَامَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ: أَيُّ قَوْمٍ، أَلَسْتُمْ بِالْوَالِدِ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: أَوَلَسْتُ بِالْوَلَدِ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَهَلْ نَتَّهَمُونِي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي اسْتَنْفَرْتُ أَهْلَ عُكَاظَ (دَعَوْتُهُمْ إِلَيَّ نَصْرَكُمْ)، فَلَمَّا بَلَّحُوا (امتنعوا) عَلَيَّ حَتَّى كُنْتُ بِأَهْلِي وَوَلَدِي وَمَنْ أَطَاعَنِي؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَإِنْ هَذَا قَدْ عَرَضَ لَكُمْ خُطَّةٌ رُشِدَ، اقْبَلُوهَا وَدَعُونِي آتِيهِ، قَالُوا: أَتَتَهُ.

فَاتَّاهُ، فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوًا مِنْ قَوْلِهِ لِبَدِيلٍ، فَقَالَ عُرْوَةُ عِنْدَ ذَلِكَ: أَيُّ مُحَمَّدٍ، أَرَأَيْتَ إِنْ اسْتَأْصَلْتُ أَمْرَ قَوْمِكَ، هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ اجْتَاكَ أَهْلُهُ قَبْلَكَ؟ وَإِنْ تَكُنِ الْآخَرَى، فَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَرَى وَجُوهًا، وَإِنِّي لَأَرَى أَوْشَابًا (خُلَيْطًا) مِنَ النَّاسِ خَلِيقًا (أُولَى) أَنْ يَفْرُوا وَيَدْعُوكَ. - وَالَّذِي دَفَعَ عُرْوَةَ أَنْ يَقُولَ ذَلِكَ أَنَّ الْعَادَةَ جَرَتْ أَنَّ الْجِيُوشَ الْمُجْمَعَةَ لَا يُؤْمِنُ عَلَيْهَا الْفَرَارُ، بِخِلَافٍ مَنْ كَانُوا مِنْ قَبِيلَةٍ وَاحِدَةٍ فَإِنَّهُمْ يَنْفُونَ الْفَرَارَ فِي الْعَادَةِ، وَمَا دَرَى عُرْوَةُ أَنَّ مَوَدَّةَ الْإِسْلَامِ أَعْظَمُ مِنْ مَوَدَّةِ الْقَرَابَةِ، وَقَدْ ظَهَرَ لَهُ ذَلِكَ مِنْ مُبَالِغَةِ الْمُسْلِمِينَ فِي تَعْظِيمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. - فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: امْضُصْ بِنَظَرِ اللَّاتِ، (وَالنَّظَرُ قِطْعَةٌ لَحْمٍ تَبْقَى بَعْدَ الْخَنَانِ فِي فَرْجِ الْمَرْأَةِ، وَاللَّاتُ اسْمُ أَحَدِ الْأَصْنَامِ الَّتِي كَانَتْ قَرِيشِي وَتَقِفُ يَعْبُدُونَهَا، وَكَانَتْ عَادَةُ الْعَرَبِ الشَّتْمُ بِذَلِكَ، لَكِنْ بَلَفَظَ الْأُمِّ، فَأَرَادَ أَبُو بَكْرٍ الْمُبَالِغَةَ فِي سَبِّ عُرْوَةَ؛ جَعَلَ اللَّاتِ الَّتِي يَعْبُدُهَا مَقَامَ أُمِّهِ، وَحَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ مَا أَغْضَبَهُ بِهِ مِنْ نِسْبَةِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْفَرَارِ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ عِنْدَ الْحَرْبِ، وَفِيهِ جَوَازُ النُّطْقِ بِمَا يُسْتَشْيَعُ مِنَ الْأَلْفَاظِ لَزَجَرِ مَنْ بَدَأَ مِنْهُ مَا يَسْتَحِقُّ بِهِ الزَّجْرَ، وَقَالَ ابْنُ

رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَطَشُ، فَانْتَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهُ فِيهِ، فَوَاللَّهِ مَا زَالَ يَجِيشُ (يُكْثِرُ) لَهُمْ بِالرَّيِّ حَتَّى صَدَرُوا عَنْهُ - وَكَانَ عَدَدُهُمْ أَلْفًا وَخَمْسَمِائَةَ رَجُلٍ تَقْرِيبًا - ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ بَدِيلُ بْنُ وَرْقَاءَ الْخَزَاعِيُّ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ خَزَاعَةَ، وَكَانُوا عِنَبَةَ نَصِيحَ (مَحَلِّ ثِقَةٍ) رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَهْلِ تِهَامَةَ، فَقَالَ: إِنِّي تَرَكْتُ كَعْبَ بْنَ لُؤْيٍ، وَعَامِرَ بْنَ لُؤْيٍ نَزَلُوا أَعْدَادَ مِيَاهِ الْحَدِيبِيَّةِ، (أَمَاكِنَ الْمِيَاهِ الْغَزِيرَةِ) وَمَعَهُمُ الْعُودُ الْمُطَافِيلُ، (وَهِيَ النُّوقُ ذَوَاتُ اللَّبَنِ مَعَهَا أَطْفَالُهَا)، وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ وَصَادُوكَ عَنِ الْبَيْتِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ (سَلْمِيَّةً)، وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، وَإِنْ قَرِيشًا قَدْ نَهَكْتَهُمُ الْحَرْبُ، وَأَصْرَتْ بِهِمْ، فَإِنْ شَاءُوا مَادَدْتَهُمْ مَدَّةً، (هَدَنَةً) وَيَخْلُوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ، فَإِنْ أَظْهَرُوا، فَإِنْ شَاءُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا، وَإِلَّا فَقَدْ جَمَعُوا (اسْتَرَا حُوا)، وَإِنْ هُمْ أَبَوْا، فَوَالَّذِي بَفْسِي بِيَدِهِ لَأَقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي (أَقْتُلُ)، وَلَيُنْفِذَنَّ اللَّهُ أَمْرَهُ».

وهذا موقف في غاية الشجاعة والحسم من رسول الله وهو يعرض خطة الصلح على قريش التي إن رفضوها كان البديل عنها الجهاد القوي المتواصل حتى يتم أمر الله تعالى، وكان لهذا الكلام القوي والوعيد والتهديد أثر هز نفوس المشركين حتى قبلوا بالصلح - فَقَالَ بَدِيلُ لِلنَّبِيِّ : سَأُبَلِّغُهُمْ مَا تَقُولُ، فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى قَرِيشًا، قَالَ: إِنَّا قَدْ جِئْنَاكُمْ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ وَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ قَوْلًا، فَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ نَعْرِضَهُ عَلَيْكُمْ فَعَلْنَا، فَقَالَ سَفَهَاوُهُمْ: لَا حَاجَةَ لَنَا أَنْ تُخْبِرَنَا عَنْهُ بِشَيْءٍ. وهكذا حين يتعجل السفهاء ويتصدرون المشهد تضيق الفرص العظيمة. - وَقَالَ ذُووُ الرَّاْيِ مِنْهُمْ: هَاتِ

الْمُنِير: فِي قَوْلِ أَبِي بَكْرٍ تَخْسِيسُ لِلْعُدُوِّ وَتَكْذِيبُهُمْ وَتَغْرِيبُ بِالزَّامِهِمْ مِنْ قَوْلِهِمْ: إِنَّ اللَّاتِ بِنْتُ اللَّهِ، - تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا - بَأَنهَا لَوْ كَانَتْ بِنْتُ لَكَانَ لَهَا مَا يَكُونُ لِلْإِنَاثِ [فتح الباري لابن حجر ٣٤٠/٥].

قلت: من الناس من يأخذ هذه الواقعة دليلاً له على الاستمرار في الفحش وسوء الخلق، مع أنه لم يثبت عن الصحابة أجمعين ذكر هذه الكلمة أو نحوها في سائر حياتهم إلا في هذا الموضع، فكيف تصير أصلاً في إدامة البذاءة؟ وقد قال صلي الله عليه وسلم: «وإن الله ليبغض الفاحش البذيء». جزء من حديث رواه الترمذي عن أبي الدرداء (٣٦٢/٤) وقال حسن صحيح.

ثم قال أبو بكر لعروة: أَنَحْنُ نَفَرُ عَنْهُ وَنَدَعُهُ؟ فَقَالَ: مَنْ ذَا؟ قَالُوا: أَبُو بَكْرٍ، قَالَ: أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْلَا يَدُ كَأَنَّكَ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لِأَجْبَتِكَ، (وكان عروة قد تحمّل بديّة فأعانه أبو بكر فيها بعون حسن) قَالَ: وَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَلَّمَا تَكَلَّمَ أَخَذَ بِلِحْيَتِهِ، وَالْمُغِيرَةَ بِنْتُ شُعْبَةَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَعَهُ السَّيْفُ وَعَلَيْهِ الْمُغْفَرُ (الخوذة)، فَكَلَّمَا أَهْوَى عُرْوَةُ بِيَدِهِ إِلَى لِحْيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَرَبَ يَدَهُ بِنَعْلِ السَّيْفِ، وَقَالَ لَهُ: أَخْزِ يَدَكَ عَنْ لِحْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، - فَيَقُولُ عُرْوَةُ: وَيَحْكُ مَا أَفْطَكَ وَأَغْلَطَكَ، وَكَانَتْ عَادَةُ الْعَرَبِ أَنْ يَتَنَاوَلَ الرَّجُلُ لِحْيَةَ مَنْ يُكَلِّمُهُ وَلَا سِيمَا عِنْدَ الْمَلَأَظَةِ، وَفِي الْغَالِبِ إِنَّمَا يَصْنَعُ ذَلِكَ النَّظِيرُ بِالنَّظِيرِ - وَلَيْسَ الْحَقِيرُ بِالْكَبِيرِ - لَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُغْضِي (يتجاوز) لِعُرْوَةَ عَنْ ذَلِكَ اسْتِمَالَةً لَهُ وَتَأْلِيفًا، وَالْمُغِيرَةَ يَمْنَعُهُ إِجْلَالًا لِلنَّبِيِّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَعْظِيمًا، فَلَمَّا أَكْثَرَ الْمُغِيرَةَ مِمَّا يَقْرَعُ يَدَ عُرْوَةَ غَضِبَ وَقَالَ: لَيْتَ شِعْرِي؛ مِنْ هَذَا الَّذِي قَدْ آذَانِي مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِكَ؟ وَاللَّهِ لَا أَحْسَبُ فَيْكُمْ أَلَّامَ مِنْهُ وَلَا أَشَرَّ مَنَزَلَةً، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ عُرْوَةُ: مَنْ هَذَا يَا مُحَمَّدُ؟ قَالَ: هَذَا ابْنُ أَخِيكَ الْمُغِيرَةَ بِنْتُ شُعْبَةَ. [فتح الباري لابن حجر ٣٤١/٥]

قلت: وهذه من مواقف العزة القوية التي لا يمكن أن تمر دون حسنها لما قد ظهر من تجاوز وغرور عند ذلك المشرك، وكذا من إهانة واستخفاف بعظماء الإسلام - فَقَالَ عُرْوَةُ: أَيُّ غُدْرٍ (مبالغة في الغدر)، أَلَسْتُ أَسْعَى فِي غُدْرَتِكَ؟ وَكَانَ الْمُغِيرَةُ صَحْبٌ قَوْمًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقَتَلَهُمْ، وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ، ثُمَّ جَاءَ فَأَسْلَمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَّا الْإِسْلَامُ فَأَقْبَلْ، وَأَمَّا الْمَالُ فَلَيْسَتْ مِنْهُ فِي شَيْءٍ».

وهكذا لم يقبل النبي صلى الله عليه وسلم مالا مغتصباً ولو كان من مشركين وفي الجاهلية، بل تعفّف عنه وتبرأ منه - ، ثُمَّ إِنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَزُمُّ (ينظر) أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَيْنَيْهِ، فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَيُّ قَوْمٍ، وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ، وَوَفَدْتُ عَلَى قَبِصَرٍ، وَكِسْرَى، وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعْظِمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعْظِمُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحَمَّداً، وَاللَّهِ إِنْ تَنَحَّمْ نَخَامَةً إِلَّا وَقَعْتُ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَذَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرُهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأُوا كَانُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يَحْدُونَ إِلَيْهِ النَّظَرُ تَعْظِيمًا لَهُ - وإظهار الصحابة رضوان الله عليهم لهذا الحب الصادق العجيب الفريد، لنبيهم وقائدهم أمام هذا الخصم العنيد؛ كان لإقناعه أن الزعيم الذي يعامله أصحابه

هذه المعاملة لا يُتوقع منهم أن يفروا عنه ويتركوه، وإنما المتوقع والمتبادر أن يثبتوا معه ويحموه ولو قتلوا بين يديه فداءً له ولدعوته .

تحييد الخصوم قدر الاستطاعة

قال عروة لقومه: **وَإِنَّهُ (أي محمد) قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةً رُشِدَ فَأَقْبَلُوهَا، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ هُوَ الْحَلِيسُ بْنُ عِلْقَمَةَ: دَعُونِي آتِيهِ، فَقَالُوا: ائْتِهِ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَذَا فَلَانٌ، وَهُوَ مِنْ قَوْمٍ يُعْظَمُونَ الْبُذْنَ (الَهْدْيَ)، فَأَبْعَثُوهَا لَهُ» فَبَعَثَتْ لَهُ، وَاسْتَقْبَلَهُ النَّاسُ يُلْبُونَ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، مَا يَنْبَغِي لَهُؤَلَاءَ أَنْ يُصَدَّوْا عَنِ الْبَيْتِ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ، قَالَ: رَأَيْتُ الْبُذْنَ قَدْ قُلِدْتُ وَأُشْعِرْتُ، فَمَا أَرَى أَنْ يُصَدَّوْا عَنِ الْبَيْتِ، - قلت: وهذا أمر بديع في الحوار والمنازعة؛ فلكي يكسب المحاور القضية المتنازع عليها ينبغي أن يظهر بالمظهر الذي يجعل الخصم يتعاطف معه ويتحول إلى مدافع عنه أمام قومه والناس، لا أن يتعاضم عليه ويستعديه ويستفزه، ولهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يستقبلوا الحليس بن علقمة الكناني وهو عدو لهم؛ بالمظهر الذي يفرض عليه اعتقاد أن المسلمين إنما جاؤوا للعمرة، حيث أرسلوا أمامه الإبل المعدة للهدي، والرجل ممن يعظمون مشاعر الحج والعمرة، وقد أثر هذا المنظر فيه فرجع منكراً على قريش وقوفها في وجه المسلمين وصدهم عن البيت الحرام الذي جاءوا له معظمين، وإليه معتمرين. فالؤمن كبس فطن، حين يحاور خصومه عليه أن يعمل الذكاء، ليكسب تعاطف**

وتأييد الأعداء، وهذا من عظيم الكياسة وجميل الدهاء، بل جاء في سيرة ابن هشام (٤٠٧/٣) أن قوم الحليس قالوا له: اجلس فإنما أنت أعرابي لا علم لك، فغضب الحليس عند ذلك وقال: يا معشر قريش، ما على هذا حالفناكم، ولا على هذا عاقدناكم، أئصد عن البيت من جاء معظماً له؟ والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وما جاء له أو لأنقرن بالأحابيش نفرة رجل واحد، قالوا: مه، كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به..

السياسي المحترف:

قلت: وهكذا كان التصرف من رسول الله مقنعاً للحليس كي يتحول عن رأيه ويقف في صف المسلمين، بل ويهدد قريشاً بأنه سيواجههم بالحرب إن هم صدوا محمداً وأصحابه وقد جاؤوا معظمين لبيت الله الحرام، ولقد تحول رأي زعماء قريش بعد هذا الموقف؛ من الرأي المتصلب وهو صد المسلمين بالقوة إلى نوع من المساومات السياسية حين قالوا للحليس: كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به. يعني: أننا لن نصد المسلمين بالقوة عن الوصول إلى البيت، ولكننا نريد أن نغتني هذه الفرصة لنكسب هذه القضية أمام العرب، ولا يدخل محمد وأصحابه علينا مكة هذه السنة، فنكون أمام الناس منعناهم أن يدخلوا مكة علينا عنوة. سبحان الله!! رأوا من أنفسهم ضعفاً ولكنهم يريدون أن يظهروا بمظهر القوي، فأعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم ما يريدون. كانوا على بداوتهم محترفين سياسة، ورسول الله أعظم منهم فطنة وكياسة.

وللحديث بقية إن شاء الله وصلى الله وسلم وبارك على النبي محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثة للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة الواهية التي توهم أن النبي صلى الله عليه وسلم كاد أن يسرف في القتل، وأن يمثل بأعدائه لولا أن نزل القرآن، خاصة وأن هذه الأوهام، كثرت في هذه الأيام التي ظهرت فيها الفتن، حيث بوب أمير المؤمنين في الحديث الإمام البخاري في صحيحه في الكتاب (٩٢) كتاب «الفتن» الباب (٥) باب «ظهور الفتن» في حديث متفق عليه مشهور عن عبد الله بن مسعود، وأبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم : «إن بين يدي الساعة أياماً يُرفع فيها العلم، وينزل فيها الجهل، ويكثر فيها الهرج، والهرج: القتل». (البخاري رقم (٦٦٥٤)، ط٣/ابن كثير)، و(مسلم برقم (٢٦٧٢)، ط/دار إحياء التراث العربي).

في وسط هذه الفتن انتشرت هذه الأوهام وكثر الهرج، وكان لهذه القصص الواهية الأثر السيئ في ظهور الفتن، فإلى القارئ التحريج والتحقيق لهذه القصة:

أولاً: المتن

رُوي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد نظر إلى حمزة، وقد قتل ومُثل به، فرأى منظرًا لم ير منظرًا قط أوجع لقلبه منه، ولا أوجل فقال: «رحمة الله عليك، فقد كنت وصولاً للرحم، ففعلت للخيرات، ولولا حزن من بعدك عليك لسرني أن أدعك حتى تجيء من أفواج شتى». ثم



تحذير الداعية من القصص الواهية

قصة قسم النبي

صلى الله عليه

وسلم حين استشهاده

حمزة رضي الله

عنه ليمثلن بسبعين

الحلقة

(١٥٧)

علي حشيش

إعداد

(ح ١٧٩٥) قال: حدثنا الحسن بن يحيى، حدثنا عمرو بن عاصم، حدثنا صالح المري وهو صالح بن بشر به.

ثالثاً: التحقيق

١- هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة الواهية هو خبر غريب مطلق أي فرد مطلق، قال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص ٢٨): «الغريب والفرد مترادفان لغة واصطلاحاً إلا أن أهل الاصطلاح غايروا بينهما من حيث كثرة الاستعجال وقلته!

فالفرد أكثر ما يطلقونه على الفرد المطلق.

والغريب: أكثر ما يطلقونه على الفرد النسبي.

قلت: وهذا عند أهل الصنعة الحديثية له أهمية في علم المصطلح التطبيقي عند التحقيق».

لذلك قال الحافظ أبو بكر البزار في تحقيقه لهذا الخبر الذي جاءت به القصة (٣٢٧/٢- زوائد): «لا نعلمه يروى عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه، تفرد به عن سليمان صالح، وقد تقدم ذكرنا لصالح يعني تقدم ضعفه، ولا نعلم رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا أبو هريرة».

٢- وهذا التحقيق من الحافظ البزار له أهميته:

١- حيث يتبين منه أن الخبر بهذا السياق في قسم النبي صلى الله عليه وسلم مخاطباً به حمزة بن عبد المطلب حين استشهد والله على ذلك لأمثلن بسبعين مثلك». هذا الخبر «فرد مطلق».

والفرد المطلق كما بينه الحافظ السخاوي

حلف وهو واقف مكانه: «والله لأمثلن بسبعين منهم مكانك».

فنزل القرآن وهو واقف في مكانه لم يبرح بعد: «وَلَنْ عَاقِبَتُهُمْ فَمَا قَبُولُ مَا عَوَقِبَهُ بِهِ وَلَنْ صَبَرْتُمْ لَهُمْ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ» [النحل: ١٢٦] حتى تختم السورة، فكفر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمسك عما أراد. اهـ.

ثانياً: التبريج

١- الخبر الذي جاءت به هذه القصة أخرجه الإمام الحافظ أحمد بن أيوب الشامي الطبراني في «المعجم الكبير» (١٤٣/٣) ح (٢٩٣٧) قال: حدثنا محمد بن النضر الأزدي، حدثنا خالد بن خدّاش (ح) وحدثنا محمد بن الفضل السقطي، حدثنا سعيد بن سليمان، قالوا: حدثنا صالح المري عن سليمان التيمي، عن أبي عثمان النهدي عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد نظر إلى حمزة... القصة.

٢- وأخرج هذا الخبر أيضاً الحاكم في «المستدرک» (٢١٨/٣) قال: حدثنا أبو بكر بن إسحاق، حدثنا محمد بن أحمد بن النضر، حدثنا خالد بن خدّاش حدثنا صالح المري به.

٣- وأخرج هذا الخبر أيضاً أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي في «دلائل النبوة» (٢٨٨/٣) قال: أخبرنا أبو الحسن بن بشران، قال: أخبرنا إسماعيل بن محمد الصغار قال: حدثنا عباس بن محمد بن حاتم، قال: حدثنا عبد العزيز بن السري قال: حدثنا صالح المري به.

٤- وأخرج هذا الخبر أيضاً الإمام أبو بكر البزار في «مسنده» (٣٢٦/٢- زوائد)

فيه حصل بالنسبة إلى شخص معين». اهـ.

ج- قلت: وتفرد صالح المري عن سليمان التيمي يتبين منه: أن صالح المري لا توجد له متابعة تامة، حيث قال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص ٣٢): «والمتابعة على مراتب؛ لأنها إن حصلت للراوي نفسه فهي التامة، وإن حصلت لشيخه فما فوقه فهي القاصرة». اهـ.

د- قلت: وبالتطبيق لا يوجد لصالح المري متابعة تامة لانفراده عن سليمان، وكذلك لا توجد متابعة قاصرة لقول الحافظ أبي بكر البزار: «لا نعلمه يروى عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه». اهـ. وبيان هذه الروابط بين أنواع الغرابة وبين المتابعات وأنواعها وبين الشواهد يتبين أن آفة هذه القصة الواهية صالح المري.

٣- قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٣٧٧٣/٢٨٩/٢): «صالح بن بشير أبو بشر المري الواعظ بصري مشهور، قال أحمد: هو صاحب قصص ليس هو صاحب حديث ولا يعرف الحديث. وقال الفلاس: منكر الحديث جداً.

قلت: لذلك ضعف هذه القصة الواهية الحافظ الذهبي في «التلخيص» (١٩٧/٣- مستدرک) قال: «صالح وإسماعيل سمعه منه خالد بن خدّاش».

٤- قال الإمام البخاري طبيب الحديث في علله في كتابه «الضعفاء الصغير» (١٦٥): «صالح بن بشير، أبو البشر المري البصري القاص. منكر الحديث». وننبه طالب هذا العلم أن هذا المصطلح

في «فتح المغيث» (٤/٤) قال: «الفرد المطلق: وهو الحديث الذي لا يُعرف إلا من طريق ذلك الصحابي ولو تعددت الطرق إليه». اهـ.

قلت: وهذا المصطلح الذي بينه الحافظ السخاوي بتطبيقه على تحقيق الحافظ أبي بكر البزار يتبين أن الخبر الذي جاءت به هذه القصة الواهية من حديث أبي هريرة فرد مطلق بتطبيق قوله: ولا نعلم رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا أبو هريرة.

قلت: يتبين مما أوردناه أنفاً أن هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة فرد مطلق من حديث أبي هريرة ليس له شواهد.

قال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص ٣٢): «وإن وجد متن يروى من حديث صحابي آخر يشبهه في اللفظ والمعنى أو في المعنى فقط فهو الشاهد». اهـ.

قلت: وقول الحافظ أبو بكر البزار: «ولا نعلم رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا أبو هريرة». ينفي وجود صحابي آخر يروي هذا الخبر الذي جاءت به القصة، وهذا له أهمية عند أصحاب الصنعة حتى لا يتقول من لا دراية له بأن للخبر شواهد.

ب- وقول الإمام البزار عن خبر هذه القصة: «لا نعلمه يروى عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه تفرد به عن سليمان صالح». اهـ.

قلت: يدل على الغرابة النسبية حيث تفرد عن سليمان التيمي صالح المري. قال الحافظ في «شرح النخبة» (ص ٣٢): «الفرد النسبي: سُمي نسبياً لكون التفرد

أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ
نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ
فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا
مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِ فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا
بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا
بَسْحَابَةٍ قَدْ أَظْلَتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا
جَبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ
قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ
إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ،
فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ:
يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنَّ شِئْتَ
أَنْ أَطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ. فَقَالَ النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ
اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا
يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا. اهـ.

قلت: مَا أَحْوجَنَا إِلَى هَذِهِ الرَّحْمَةِ فِي
أَيَّامِ ظُهُورِ الْفِتَنِ وَالَّتِي أَخْبَرَ فِيهَا النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا يَكْثُرُ فِيهَا
الْهَرَجُ، وَالْهَرَجُ الْقَتْلُ، وَمَا أَحْوجُ الْإِنْسَانَ
عِنْدَمَا يَمْلِكُ الْقُوَّةَ إِلَى هَدْيِ النَّبِيِّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَحْفَظُ الدَّمَاءَ وَالْأَمْوَالَ
وَالْأَعْرَاضَ، وَهُوَ الْقَائِلُ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ:
«إِنْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ
حَرَامٌ كَحَرَمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا
فِي بِلَادِكُمْ هَذَا». فَأَعَادَهَا مَرَارًا ثُمَّ رَفَعَ
رَأْسَهُ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتَ؟ اللَّهُمَّ هَلْ
بَلَغْتَ؟ فَلْيَبْلِغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْغَائِبَ، لَا
تَرْجِعُوا بَعْدِي كَفَارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ
رِقَابَ بَعْضٍ». (خ ١٧٣٩)، (١٩٧٩) مِنْ
حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ (خ ١٧٤١)، (م ١٦٧٩)
مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرَةَ، (خ ١٧٤٢)، (م ٦٦)
مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ .
هَذَا مَا وَفَّقَنِي اللَّهُ إِلَيْهِ وَهُوَ وَحْدَهُ مِنْ
وَرَاءِ الْقَصْدِ.

عند أمير المؤمنين في الحديث الإمام
البخاري له معناه حيث قال الإمام
السيوطي في «التدريب» (٣٤٩/١):
«البخاري يطلق (فيه نظر) و(سكتوا
عنه) فيمن تركوا حديثه ويطلق (منكر
الحديث) على من لا تحل الرواية عنه».
اهـ.

٥- قال الإمام النسائي في كتابه
«الضعفاء والمتروكين» (٣٠٠): «صالح
المري: متروك الحديث بصري». اهـ.
قلت: وهذا المصطلح عند الإمام النسائي
له أيضا معناه؛ حيث قال الحافظ ابن
حجر في «شرح النخبة» (ص ٧٣): «مذهب
النسائي ألا يترك حديث الرجل حتى
يجتمع الجميع على تركه». اهـ.

قلت: ومن أقوال أئمة الجرح والتعديل
يصبح هذا الخبر الذي جاءت به هذه
القصة تالفاً وتصبح القصة واهية.

رابعاً: دلائل صحيحة تبين نكارة هذه القصة

النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن
له أن يقسم على الإسراف في القتل
والتمثيل بأعدائه كما زعموا يوم أحد
عند استشهاد حمزة رضي الله عنه في
هذه القصة الواهية، ولقد حدث للنبي
صلى الله عليه وسلم ما هو أشد من يوم
أحد، وكان رعوفاً رحيماً مع المشركين،
فقد ثبت في أعلى درجات الصحة في
الحديث المتفق عليه والذي أخرجه الإمام
البخاري ((ح ٣٢٣١، ٧٣٨٩)، ط/دار طوق
النجاة)، والإمام مسلم (ح ١٧٩٥) من
حديث عروة أن عائشة رضي الله عنها
زوج النبي صلى الله عليه وسلم حدثته
أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم:
هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟
قال: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيتُ وَكَانَ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول
الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فقد سبق الكلام عن تراجع الكثيرين
عما كانوا عليه من تأويل الصفات، وذكرنا
كيف انضموا إلى قافلة السلف الصالح،
وذلك برجعهم في أمر معتقدتهم إلى ما
عليه صحيح المنقول غير المتعارض بحال
مع صريح العقول.. ونعيش هذه اللحظات
مع علم آخر له أياك بيضاء على أمة الإسلام
بما آفاه الله عليه من علم غزير وفضل وفير،
ازدادا بعد أن حلاهما بخلق الرجوع إلى
الحق وترك ما تعلق به أهل الكلام من تماد
في الباطل.

إنه أبو حامد الغزالي حجة الإسلام محمد
بن محمد بن أحمد الطوسي النيسابوري
(ت ٥٠٥هـ)، أحد المعدودين عند ابن عساكر
من الطبقة الخامسة، السائرين على منوال
الأشعري في القديم الذي شابه التأويل ثم
تراجع بعد ذلك إلى ما تراجع إليه الأشعري
فقد كان يجنح قبل تراجعه إلى أن الاستواء
بمعنى الاستيلاء ويدافع عن ذلك دفاعاً
شديداً، فيقول في (الاقتصاد) ص ٤٠: «يصلح
الاستيلاء على العرش لأن يمتدح به، ويُنبّه
به على غيره الذي هو دونه في العظم، فهذا
مما لا يحيله العقل ويصلح له اللفظ، فأخلق
بأن يكون هو المراد قطعاً، أما صلاح اللفظ
له فظاهر عن الخير بلسان العرب، وإنما
ينبو عن فهم مثل هذا، أفهام المتطفلين على
لغة العرب، الناظرين إليها من بُعد، المتفتين
إليها التفات العرب إلى لسان الترك، حيث لم
يتعلموا منها إلا أوائلها، فمن المستحسن في
اللغة أن يقال: (استوى الأمير على مملكته)،
حتى قال الشاعر: «وراح يستشهد ببيت
الأخطل النصراني».

استوى بشر على العراق

من غير سيف أو دم مهراق
ليخلص من كل هذا إلى ترسيخ القاعدة
التي أرساها في كتابه (المنحول) ص ٢٨٧
ومؤداها: «أن كل ما لا تأويل له فهو مردود،



المذهب الوسطي لأبي الحسن الأشعري في توحيد الصفات

الحلقة الثانية عشرة

أبو حامد الغزالي يتراجع
هو الآخر عن تأويل الصفات
إلى ما تراجع إليه الأشعري..
ويموت وصحيح البخاري على صدره

أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي

الأستاذ بجامعة الأزهر

اعداد /



هو مذهب السلف» الذي يعني إجراء النصوص على ظاهرها من غير تأويل..

٦- ود. مصطفى حلمي في كتابه: (قواعد في المنهج السلفي) ص ٢٢٢، قال: «مات الغزالي على خير أحواله، مات على الصحيحين البخاري ومسلم طالبا علم الحديث، فتحول من الكلام إلى السنة من مصادرها الصحيحة».

الغزالي يذم طريقة المتكلمين ويفتي بحرمتها بعد تحوله عنها وانشغالها بها

وكان الغزالي قبلها، قد عكف - في سبيل البحث عن طريق المعرفة - على دراسة علم الكلام حتى أتقنه وصار أحد كبار علمائهم.. ثم توجه بعد لعلم الفلسفة فدرسها وفهمها، ثم نقدها بشدة في كتابه (تهافت الفلاسفة).. ثم درس بعدها الباطنية فرد عليهم وهاجمهم.. ثم درس التصوف الذي رجع عنه هو الآخر إلى الانشغال بالحديث.

وقد ألف إبان انشغاله بعلم الكلام عدة كتب أصبحت فيما بعد مرجعاً في هذا العلم مثل كتاب (الاقتصاد في الاعتقاد)، إلا أنه لم يجد ضالته المنشودة في علم الكلام، وأوضح أن أدلته لا تفيد اليقين وأنه غير واف بمقصوده، فأعلن عن ذلك بقوله في (المنقذ من الضلال) ص ٩١: «لم يكن - علم - الكلام في حقي كافياً، ولا لدائي الذي كنت أشكوه شافياً».. بل ورد عنه ذمه بشدة وذلك في كتابه الإحياء ١/ ١٦٧، ١٦٨ حيث قال - بعد أن ذكر تحريم الشافعي وأحمد ومالك وصاحب أبي حنيفة وسفيان وجميع أهل الحديث -: «أما مضرته، فإثارة الشبهات وتحريك العقائد، وإزالتها عن الجزم والتصميم، فذلك مما يحصل في الابتداء، ورجوعها بالدليل مشكوك فيه ويختلف فيه الأشخاص، ومن أضراره تأكيد اعتقاد المبتدعة للبدعة، وتثبيتها في صدورهم، بحيث تنبعث دواعيهم، ويشند حرصهم على الإصرار عليه بواسطة التعصب الذي يثور من الجدل».. إلى أن قال: «وأما منفعتها، فقد يُظن أن فائدتها كشف الحقائق ومعرفتها على ما هي عليه، وهيئات؛ فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف، ولعل التخبيط والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف، وهذا إذا سمعته من محدث أو حشوي ربما خطر ببالك أن الناس أعداء ما جهلوا، فاسمع هذا ممن خبر الكلام ثم قلاه -

وما صح وتطرق إليه التأويل قبل».. وله في غير صفة الاستواء كلام مثل هذا.. لكنه بفضل الله كان من أبرز المتراجعين عن كل ذلك، وأضحى من أشهر الشخصيات الفكرية والدينية الراغبة عن منهج التأويل والمنتقدة لعلم الكلام وأهله بعد أن كان واحدا منهم.

شهادات أهل العلم الموثوق بكفاءتهم على تراجع الغزالي

وممن نص على تراجع عن منهج المتكلمين إلى مذهب السلف وصحيح وآخر ما كان عليه أبو الحسن في إثبات ما صح في نصوص السنة من الصفات دون تأويل:

٢٠١- الحافظ ابن كثير ت ٧٧٤ في البداية والنهاية ١٢/ ١٧٤، والإمام القاضي ابن أبي العز ت ٧٩٢ في شرحه على الطحاوية ص ١٤٧، ولفظ الأخير: «وكذلك الغزالي رحمه الله، انتهى آخر أمره إلى الوقف والحيرة في المسائل الكلامية، ثم أعرض عن تلك الطرق وأقبل على أحاديث الرسول فمات والبخاري على صدره».

٣- ومن قبلهما تاج الدين السبكي ت ٧٧١ حيث ذكر في طبقاته ٦/ ٢١٠، ٢١٤ «أنه أقبل في أواخر عمره على الأحاديث الصحاح، وأن لو عاش لسبق الكل في ذلك الفن بيسير من الأيام يستفرغه في تحصيله»، وأنه «سمع صحيح البخاري من أبي سهل محمد عبد الله الحفصي».

٤- وممن نقل تحول الغزالي عما كان عليه من غير من ذكرنا: المرتضى الزبيدي ت ١١٤٥ فقد حكا استنكار الغزالي الشديد لطريق التأويل وعلم الكلام، وأنه بدعة مذمومة ومخالفة للسلف، كما نص على فتواه بحرمة خوض العلماء والوعاظ في التأويل، قائلاً في كتابه (إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين) ٢/ ٨٢، ٨٣ «ما نصه: يحرم على الوعاظ على رؤوس المنابر الجواب عن هذه الأسئلة بالخوض في التأويل، بل الواجب عليهم الاقتصاد على ما ذكره السلف وهو المبالغة في التقديس والتنزيه ونفي التشبيه وأنه تعالى منزّه عن الجسمية وعوارضها».

٥- ومنهم الشنقيطي في (الإقليد للأسماء والصفات) ص ٧٥، قال: «وكذلك أبو حامد الغزالي، كان في زمانه من أعظم القائلين بالتأويل ثم رجع عن ذلك، وبين أن الحق الذي لا شك فيه

وهذا مما افتتح رسول الله بيانه في أول بعثته قبل النطق بهذه الألفاظ.. ومما قاله بنفس هذا المصدر ص ٧٦ وما بعدها: «إن علاج وهم التشبيه أسهل من علاج التعطيل، إذ يكفي أن يقال مع هذه الظواهر: ليس كمثله شيء».. وعمن سأل عن الاستواء، قال: «الجواب ما قاله مالك، إذ قال: (الاستواء معلوم)»، وعمن سأل عن الفوق واليد والأصبع، «أن يقال: الحق فيه ما قاله الرسول وقال الله تعالى، وقد صدق حين قال: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) (طه/ ٥)، فيعلم قطعاً أنه ما أراد الجلوس والاستقرار الذي هو صفة الأجسام»، وقال عن إثبات اليد والأصبع: «يجوز النطق بما نطق به رسول الله على الوجه الذي نطق به، من غير زيادة أو نقصان أو تأويل.. وننقله كما روي، ونقطع بنفي العضو المركب من اللحم والعصب».

«وفي ذلك يفارق الغزالي ما ذهب إليه من قبل، من أن أهل الحق مضطرون إلى تأويل آيات الصفات حينما أولوا صفة الاستواء بالاستيلاء، ويفارق آراءه التي سطرها في كتب العقائد كـ (القسطاس) و(قواعد العقائد) و(الاقتصاد في الاعتقاد)، حيث جري في هذه الكتب على تأويل الصفات على طريقة أهل الكلام والمنطق.. على أن الكثيرين لا يأخذون بعين الاعتبار المرحلة الأخيرة التي رجع فيها عن آرائه السابقة، بل يأخذون بكتبه التي رجع عنها ويعولون عليها ويغضون الطرف عما خالفها من الآراء، وإن كانت من نفس المؤلف الذي يعتمدون تواليه السابقة» [ينظر (أبو حامد الغزالي والتصوف) د. الدمشقية ص ٣٦٠، ٣٦٥]..

والأغرب مما سبق أن تجد إلى يومنا هذا، من ينشر ويحقق ويدرس ويدرس ويجادل فيما رجع عنه وينافج عنه بالباطل، وبرأيي أن مثل هؤلاء لا يمكن أن يصلوا أبداً إلى صواب، ذلك أنه لا جمع بين أقواله وأحواله هذه، إلا بما ذكرنا من أنه رجع عما كان يخالف منها فهم السلف.

إن الغزالي لا يكتفي بعد التأويل تعطيلاً.. حتى طفق يُرسي قواعد سلف الأمة في توحيد الصفات

هذا، ومما حسم به الغزالي أمره، قوله في (إلجام العوام) ص ٣٠: «اعلم أن الحق

يعني: تركه - بعد حقيقة الخبرة وبعد التغلغل فيه إلى منتهى درجة المتكلمين، وجاوز ذلك إلى التعمق في علوم آخر تناسب نوع الكلام، وتحقق أن الطريق إلى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود، ولعمري لا ينفك الكلام عن كشف وتعريف وإيضاح لبعض الأمور، ولكن على الدور في أمور جلية تكاد تفهم قبل التعمق في صنعة الكلام».

وقد نقل شارح الطحاوية عنه كلامه هذا وعقب يقول في ص ١٤٤: «وكلام مثله في ذلك حجة بالغة».. ونقله كذلك ابن الوزير اليماني ت ٨٤٠ في كتابه الروض الباسم ١٢ / ٢ وعقب يقول: «فهذه نصوص الغزالي الذي قيل فيه: (لم تر العيون قبله ولا بعده أذكى منه)».. كما ذكره د. العباد في مقدمته لرسالة ابن أبي زيد القيرواني ص ٣٣ تحت عنوان: (متكلمون يذمون علم الكلام ويظهرون الحيرة والندم)، وقدم له بقوله: «فأبو حامد الغزالي من المتكلمين في علم الكلام، ومع ذلك فقد جاء عنه المبالغة في ذمه، ولا ينبئك مثل خير».

على أن الإمام الغزالي لم يكتف بدم الكلام وأهله، حتى طفق يبدع طريقتهم في الإكثار من ذكر صفات السلوب وبعد التأويل تعطيلاً ويؤصل لما رجع إليه، فكان أن ألف في أواخر حياته:

أ-رسالة بعنوان: (فيصل التفرقة بين الإيمان والزندقة) وهو ضمن مجموعة (الجواهر الغوالي) وقال فيها ما نصه: «وإذا تركنا المداينة صرحنا بأن الخوض في هذا العلم حرام لكثرة الآفة فيه».. ومما قاله فيها ص ٨٨: «إن إثبات الفوق لله تعالى مشهور عند السلف، ولم يذكر أحد منهم أن خالق العالم ليس متصلاً بالعالم ولا منفصلاً، ولا داخلاً ولا خارجاً، وأن الجهات الست خالية منه، وأن نسبة جهة فوق إليه كنسبة جهة تحت، فهذا قول بدعة، إذ البدعة: إحداث مقالة غير مأثورة عن السلف».

ب- وكتاب (إلجام العوام عن علم الكلام) الذي تابع فيه شيخه أبا المعالي الجويني، وعالج مسألة التشبيه قائلاً في ص ٧٣: «إن جميع الألفاظ الموهمة في الأخبار، يكفي في دفع إيهامها قرينة واحدة، وهي معرفة الله وأنه ليس بجسم، وليس من جنس الأجسام،

تعرض لها الغزالي، مكرراً ذلك في غالب كتبه ومؤكداً على أن الغزالي اصطحب في آخر حياته أهل الحديث ومات وصحيح البخاري على صدره، وأنه كان يقول: «أكثر الناس شكا عند الموت أهل الكلام».. ومما قاله بحقه: «وهذا أبو حامد - مع فرط ذكائه وتألوه ومعرفته بالكلام والفلسفة، وسلوكه طريق الزهد والرياضة والتصوف - ينتهي في هذه المسائل إلى الوقف والحيرة، ويحيل في آخر أمره على طريقة أهل الكشف، وإن كان بعد ذلك رجع إلى طريقة أهل الحديث، وصنف (إلجام العوام عن علم الكلام)، ولفظه في درء التعارض: أنه «رجع إلى طريقة أهل الحديث ومات وهو يشتغل في صحيح البخاري» [مجموع الفتاوى ٤/ ٢٨، ٧٢ ودرء تعارض النقل والعقل ١/ ١٦٢].

كما سجل له الحافظ ابن كثير ت ٧٧٤ هذه المرحلة قائلاً: «إنه مال في آخر عمره إلى سماع الحديث والتحفظ للصحيحين».. قال: ثم عاد إلى بلده طوس فأقام بها وابتنى رباطاً واتخذ داراً حسناً وغرس فيها بستاناً أنيقاً، وأقبل على تلاوة القرآن وحفظ الأحاديث الصحاح [البداية والنهاية ١٢/ ١٧٤ وينظر المنتظم ١٧/ ١٢٦].

ولا دلالة ولا معنى لانشغاله بصحيح السنة سوى اتباع أصحابها من أهل الحديث والأثر المثبتين لما صح عنه في باب الصفات وغيرها.. وابتناء على ما سبق ذكره فإن كتبه التي ألفها وفيها ما حذر العلماء منه، ينبغي قصر الإفادة منها على ما لا يخالف الكتاب والسنة، كما قال الإمام الحافظ أبو عمرو بن الصلاح - فيما نقله عنه ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٤/ ٦٥ -: «أبو حامد كثر القول فيه ومنه، فاما هذه الكتب - يعني المخالفة للحق - فلا يلتفت إليها، وأما الرجل فيُسكت عنه ويفوض أمره إلى الله».. وسيأتي الكلام عن المزيد ممن تراجعوا لنثبت - بمشيئة الله تعالى - أن رجوع شيوخ الأشاعرة قبل أن يكون حقيقة لا يجدها إلا منكر للشمس في رائعة النهار، هو شرف ومنقبة لهم تنم عن تجردهم لمعرفة الحق والثبات عليه وعدم تماديهم في الباطل، وأن المخالف هو من فهم خطأ حقيقة ما عليه القوم وما آل إليه أمرهم. وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

الصريح الذي لا مرأى فيه عند أهل البصائر، هو مذهب السلف، أعني مذهب الصحابة والتابعين».. وما انكف الغزالي يرسي - بنفس الكتاب ص ٦٤، ٦٥- القواعد والأصول التي كان عليها الرسول وصحابته الكرم في هذا الباب، والمبتناة على أنه «أعرف الخلق بصلاح أحوال العباد في دينهم ودنياهم، وأنه بلغ كل ما أوحى إليه ولم يكتم منه شيئاً، وأن أعرف الناس بمعاني الوحي هم صحابته الذين لازموه وحضروا التنزيل، وأنهم في طول عصرهم إلى آخر أعمارهم ما دعوا الخلق إلى التأويل.. فنعلم بالقطع من هذه الأصول أن الحق ما قالوه والصواب ما رويوه، لاسيما وقد أثنى عليهم رسول الله وقال في الحديث المتفق عليه: (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)، وقال فيما أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه: (ستفترق امتي نيفاً وسبعين فرقة، الناجية منهم واحدة، فقليل من هم)، قال: أهل السنة والجماعة، فقليل: وما أهل السنة والجماعة؟ فقال: ما أنا عليه وأصحابي» (١٠هـ).

ذكر شهادات أخرى غير ما سبق

على ما آل إليه حاله ودلالة كل ذلك

ويؤكد على أن هذا حال الغزالي الذي استقر عليه - من غير شهادات من سبق ذكرهم - قول تلميذه أبي الحسن عبد الخافر بن إسماعيل الفارسي خطيب نيسابور - وقد نقله عنه لفيق من أهل العلم منهم ابن عساكر في التبيين ص ٢٩٦ والذهبي في السير ١٩/ ٣٢٥ وتاريخ الإسلام ٣٥/ ١١٨ والسبكي في طبقاته ٦/ ٢١٠ -: «وكانت خاتمة أمره إقباله على طلب الحديث ومجالسة أهله ومطالعة الصحيحين البخاري ومسلم اللذين هما حجة الإسلام، ولو عاش لسبق الكل في ذلك الفن ببسیر من الأيام يستفرغه في تحصيله، ولا شك أنه سمع الأحاديث في الأيام الماضية واشتغل في آخر عمره بسماعها ولم تتفق له الرواية، ولا ضرر فيما خلفه من الكتب المصنفة في الأصول والفروع وسائر الأنواع، تخلد ذكره وتقرّر عند المطالعين المستفيدين منها أنه لم يخلف مثله بعده».

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ت ٧٢٨ ممن يذكرون بهذه المرحلة الأخيرة التي

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

يقصد بالتربية الإيمانية: العمل على زيادة الإيمان بالله عز وجل واليوم الآخر وتعميق معاني الإيمان والارتقاء بالقلوب حتى تجد حياة الإيمان وتحب طاعة الرحمن وتنأى عن الفسوق والعصيان، وانظر طريقة القرآن في تعميق الإيمان بالآخرة في قلوب الصحابة رضي الله عنهم، فقد كان القرآن يقرر ويكرر أمور الأخرى على قلوب الصحابة رضي الله عنهم حتى صاروا كأنهم يعاينون الآخرة بعيني رؤوسهم فهانت عليهم أنفسهم، وبذلوا جميع ما يملكون طلباً لما عند الله عز وجل ورغبة في رضاه، فتارة يخبر الله عز وجل بالآخرة خبراً مؤكداً كما قال تعالى: «إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا» [طه: ١٥].

وتارة يقسم الله عز وجل بوقوعها كما قال تعالى: «وَالَّذِينَ كَفَرُوا ۖ فَالْحَسِبْتَ وَقَرَأَ ۖ فَالْحَسِبْتَ بُرْكَ ۖ فَالْحَسِبْتَ أَمْ ۚ إِنَّمَا نُوعِنُ أَعَادُونَ ۚ وَلَئِنَّ الَّذِينَ لَوْحٌ ۖ» [الذاريات: ٦-١].

وتارة يأمر نبيه بالإقسام على وقوعها كما قال تعالى: «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَلَىٰ غَيْبٍ لَا تُعْرَبُ عَنْهُ يُثْقَلُ ذَرَّةٌ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْكُرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْتُرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ» [سبا: ٣].

وتارة يذم الله عز وجل المكذبين بها كما قال تعالى: «فَدَحَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا ۖ يَلْقَاهُ اللَّهُ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرُنَا عَلَىٰ مَا قَرَرْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوَارِهِمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ إِلَّا سَاءَ مَا يَزِينُونَ» [الأنعام: ٣١].

وتارة يمدح المؤمنين بها كما قال تعالى: «لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ» [البقرة: ١٧٧].

وتارة يخبر الله عز وجل بقرب القيامة كما قال تعالى:

«يَهُمُّ بَرُّوهُ، بَعِيدًا ۖ وَزَيْدٌ قَرِيبًا» [المعارج: ٦-٧]، «مَا يَدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا» [الأحزاب: ٦٣].

فالإيمان كما قرر السلف يزيد وينقص؛ يزيد بكثرة الأدلة وقوتها وينقص بالجهل والغفلة والمعاصي، ومهما ازداد الإيمان



من أنواع التربية المطلوبة:

التربية الإيمانية

د. أحمد فريد

إعداد



قال الصحابة رضي الله عنهم ما هو أبلغ من ذلك، قالوا: الإيمان قبل العلم وقبل العمل .

روى الحاكم بسند صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «عشنا برهة من الدهر وكان أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن، وكان الواحد منهم يقول لأخيه: اجلس بنا نؤمن ساعة فيجلسون يذكرون الله عز وجل».

هكذا تربي الإيمان في قلوب الصحابة حتى صار أرسخ من الجبال وأعلى من السحاب وظهرت بركات هذا الإيمان في مواقفهم فكانوا على أعلى مستوى في البذل والتضحية في سبيل الله عز وجل وصدق الأخوة وصدق التوبة والولاء والبراء، والصدق مع الله عز وجل ومع رسوله صلى الله عليه وسلم، وكان من بركات هذا الإيمان كذلك انتصارات في كل ميدان وعلو ورفعة وعزة في الدنيا والآخرة، ولا شك في أن أعمال القلوب وعباداتها أجل وأعلى من أعمال الجوارح فالإخلاص والصدق والتوكل والمحبة أعلى من أعمال الجوارح، بل هي ثمرة لأعمال الجوارح، ولا ينتفع العبد بطاعات جوارحه حتى يكون الباعث لها الإخلاص والمحبة وغير ذلك...

وبالأحوال الإيمانية والأعمال القلبية فاق الصحابة - رضي الله عنهم - من هم أكثر منهم صلاة وصياماً واجتهادات كما قال ابن مسعود رضي الله عنه للتابعين: «لأنتم أكثر عملاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكنهم كانوا خيراً منكم كانوا أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة».

كان في التابعين ثلاثون تابعياً لو قيل لأحدهم القيامة غداً لما استطاع أن يزيد شيئاً ولكن الصحابة كانوا أفضل منهم لما تقرر في قلوبهم من معاني الإيمان وما تهيا لهم من الأحوال، فلقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفيض عليهم مما أفاض الله عز وجل على قلبه من الأحوال الشريفة والمعاني اللطيفة والمعارف القلبية.

قال أنس رضي الله عنه: «وما نقضنا أدينا من دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أنكرنا قلوبنا» [رواه الترمذي (٣٦١٨) وابن ماجه (١٦٣٠) وصححه الألباني].

فبمجرد أن فارقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسوا بتغير القلوب ولذا ندب العلماء إلى

يسهل على العبد الطاعات والبعد عن المعاصي والعثرات، ومهما نقص الإيمان تعثر العبد في الخطيئات وسقط في الظلمات وأعرض عن رب الأرض والسموات. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن...» [متفق عليه].

فكان مما يميز القرآن المكي الإكثار من ذكر الآخرة، وكذا اشتماله على القصص القرآني الذي يتسلى به الصحابة الكرام وهم يعانقون أشد ألوان العذاب بمكة.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةُ مِنَ الْمُفْصِلِ، فِيهَا ذِكْرُ الْحِنَةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الْإِسْلَامِ نَزَلَ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ: لَا تَشْرَبُوا الْخَمْرَ، لَقَالُوا: لَا نَدْعُ الْخَمْرَ أَبَدًا، وَلَوْ نَزَلَ: لَا تَزْنُوا، لَقَالُوا: لَا نَدْعُ الزِّنَا أَبَدًا، لَقَدْ نَزَلَ بِمَكَّةَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنِّي لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ: ﴿بَلِ النَّسَاءُ مُرِيدُنَّ أَكْفَرَهُ فَأَمْشُرْ﴾ [القمر: ٤٦] وَمَا نَزَلَتْ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ» [صحيح البخاري ١٨٥/٦]

ومما غرس الله عز وجل به الإيمان في قلوب الصحابة رضي الله عنهم فرض قيام الليل في ابتداء الدعوة، فعن عائشة رضي الله عنها قال: «فرض الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم قيام الليل، فقام النبي صلى الله عليه وسلم وقام الصحابة معه حولا كاملا، واحتجز الله عز وجل خاتمة السورة اثني عشر شهرا، ثم نزل بعد ذلك التخفيف. [مسلم (٧٤٦)].

وإنما قصدت رضي الله عنها الأمر بقيام الليل في قوله تعالى «يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ ۚ إِنَّا أَنزَلْنَا الْأَنْفُسَ مِنْ نَفْسٍ مُنْقَذَةٍ ۖ وَأَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَزَقَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا» [المزمل: ١-٤]، وقصدت بالتخفيف الآية الأخيرة من السورة وهي قوله تعالى: «إِنَّ رَبَّكَ يَقُولُ إِنَّكَ تَكُفِّرُ آثَقَ مِنْ ثَلَاثِ أَنْفُسٍ مِنْ نَفْسٍ مُنْقَذَةٍ وَتَكُفِّرُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَنْفُسٍ مِنْ نَفْسٍ مُنْقَذَةٍ ۖ وَاللَّهُ يَقْدِرُ الْأَنْفُسَ وَالنَّهَارَ عَلِيمٌ أَنْ لَنْ تُخْصَوْهُ فَتَابَ عَلَيْكَ فَاقْرَأْ مَا مَنَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ» [المزمل: ٢٠].

ليس من الغريب العجيب أن يفرض قيام الليل قبل أن تفرض الصلوات الخمس وقبل أن تنزل الحدود؟! ولئن قال الإمام البخاري: «العلم قبل القول والعمل، واستدل بقول الله عز وجل: «فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ» [محمد: ١٩]، فلقد

وحده الذي اتصف بصفات الربوبية وبالأسماء الحسنى والصفات العلا، ولأنه وحده القادر على جلب جميع المنافع لعباده، ودفع جميع المضار وهو الذي تالهه القلوب وتنجذب إليه محبة وتوكلًا وإنابة وخشية، قال النبي صلى الله عليه وسلم « إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعت على يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفت الصحف » [الترمذي (٢٥١٦) وصححه الألباني].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: جميع ما يبدو للقلوب من صفات الرب سبحانه يستغني العبد بها بقدر حظه وقسمه من معرفتها أو قيامه بعبوديتها، فمن شهد مشهد علو الله تعالى على خلقه وفوقيته لعباده واستوائه على عرشه كما أخبر بها أعرف الخلق وأعلمهم به الصادق، وتعبد بمقتضى هذه الصفة بحيث يصير لقلبه صمد يعرج إليه مناجيًا له مطرقًا واقفاً بين يديه وقوف العبد الذليل بين يدي الملك العزيز، فيشعر بأن كلامه وعمله صاعد إليه معروض عليه مع أوفى خاصته وأوليائه فيستحي أن يصعد إليه من كلمه ما يخزيه ويفضحه هناك ويشهد نزول الأمر والمراسيم الإلهية إلى أقطار العوالم كل وقت بأنواع التدبير والتصرف من الإمامة والإحياء والتولية وتقلب الدول ومدولة الأيام بين الناس إلى غير ذلك من التصرفات في المملكة التي لا يتصرف فيها سواه، فمراسيمه نافذة فيها كما يشاء، «يَبْرِزُ الْأَمْرَ مِنْ أَسْمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ» [السجدة: ٥].

من أعطى هذا المشهد حقه معرفة وعبودية استغنى به وكذلك من شهد مشهد العلم المحيط الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السموات ولا في قرار البحار ولا تحت أطباق الجبال بل أحاط بذلك علمه علمًا تفصيليًا ثم تعبد بمقتضى هذا الشهود من حراسة خواطره وإرادته وجميع أحواله وعزماته وجوارحه علم أن حركاته الظاهرة والباطنة وخواطره وإراداته وجميع أحواله ظاهرة مكشوفة لديه علانية له

مجالسة العلماء الربانيين والدعاة المخلصين. فصحة الزهاد والعباد ترغب في الزهد والعبادة وصحة البطالين أهل الشهوات والغفلات تسكب في القلوب الغفلة والشهوة كما يقال « المجالسة سبب المجانسة » فمن جالس المسرورين سرى إلى نفسه السرور، ومن جالس المحزونين سرى إليه الحزن. ويقولون كذلك بأن النفس كالريح إذا مرت بالطيب حملت منه، وإذا مرت بالخبث حملت منه، فنسأل الله أن يطيب قلبنا بمحبته وجوارحنا بطاعته وأن يوفقنا لمجالسة الصالحين من عباده ويؤهلنا لدخول الجنة والنجاة من النار.

فالتربية الإيمانية في الارتقاء بالأحوال الإيمانية للمسلمين وتغذية شجرة الإيمان في قلوبهم، وإنما يتم - إن شاء الله - بأمور منها:

١- تعميق معرفتهم بالله عز وجل وأسمائه وصفاته وربوبيته وإلهيته: فكلمنا ازداد علم العبد بالله عز وجل وأسمائه وصفاته وإلهيته يزداد حباً لله عز وجل وتوكلًا وخشية وإنابة قال تعالى: «فَمَا يَخَافُ اللَّهَ بَنِي إِسْرَءِيلَ» [فاطر: ٢٨]

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: « أنا أعلمكم بالله وأشدكم له خشية. » [متفق عليه].

فهما علم العبد من صفات ربه الجليل عز وجل فإنه يزداد إيماناً بأن الله أهل أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، فالنفس مفطورة على محبة الكمال والجمال، وكذا محبة من أحسن إليها وبغض من أساء إليها، وإذا تدبر العبد في أسماء الله عز وجل وصفاته علم أن أسماء الله كلها حسنى وصفاته كلها عليا، وأنه عز وجل هو وحده المتصف بصفات الربوبية كالخلق والإمامة والإحياء والتربية بالنعم، وهو عز وجل وحده الذي يجب التحاكم إليه والرضا بحكمه، والكفر بكل حكم يخالف حكمه كما قال تعالى: «سَأْتِئِدُونَنَا مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَتَتِئِدُونَهَا آتُورًا وَأَنَّى يُكُفَّرُ بِهَا مِنَ اللَّهِ أَمْ لَهُ الْغَنِيُّ إِنَّ إِلَهَ الْإِنْسَانِ إِلَهٌ أَتَى ذَلِكَ الْبَیِّنُ الْقَنِينَ وَلَئِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» [يوسف: ٤٠]. وكذا هو وحده المستحق لكل ألوان العبادة الظاهرة والباطنة، فإنه وحده الإله الحق وما سواه آلهة لا تستحق عبادة من العبادات؛ لأنه

« وَإِذَا ثَلَيْتَ عَلَيْهِمْ آيَاتَهُ رَأَوْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ »
 « الأنفال: ٢٠ »، وكذلك إذا نظر إلى انتظامه وإحكامه،
 وأنه يصق بعضه بعضاً، ويوافق بعضه بعضاً،
 ليس فيه تناقض ولا اختلاف تيقن أنه « لَا يَأْتِيهِ
 الْفُتُلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ »
 فصلت: ٤٢.

وأنه لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه من
 التناقض والاختلاف أموراً كثيرة، قال تعالى:
 « أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرِيقَ الَّذِي كَانُوا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَوْجِدُوا فِيهِ آخِلًا
 كَثِيرًا » النساء: ٨٢.

وهذا من أعظم مقويات الإيمان يقويه من وجوه
 كثيرة، فالمؤمن بمجرد ما يتلو آيات الله ويعرف
 ما أخبر عنه من الأخبار الصادقة والأحكام
 الحسنة يحصل له من أمور الإيمان خير كبير،
 فكيف إذا أحسن تأمله وفهم مقاصده وأسراره؟!
 ولهذا كان المؤمنون الكمل يقولون:

« رَبَّنَا إِنَّمَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا رَبَّنَا
 فَقَامْنَا » آل عمران: ١٩٣.

وكذلك معرفة أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم
 وما تدعو إليه من علوم الإيمان وأعماله، وكلها
 من محصلات الإيمان ومقوماته، فكلما ازداد
 العبد معرفة بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله
 صلى الله عليه وسلم ازداد العبد إيماناً و يقيناً،
 فالتدبر للقرآن من أعظم الطرق والوسائل الجالبة
 للإيمان والمقوية له قال تعالى: « كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ
 مُبَارَكًا مَنُورًا ؕ آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ » ص: ٢٩.

فاستخراج بركة القرآن التي من أهمها حصول
 الإيمان سبيله وطريقه تدبر آياته وتأملها كما
 ذكر أن تدبره يوقف الجاحد عن جحوده، ويمنع
 المعتدي على الدين من اعتدائه، قال تعالى

« أَفَلَمْ يَتَذَكَّرُوا أَلْفَ عُرٍ » المؤمنون: ٦٨ « أي: فلو تدبروه
 حق تدبره لمنعم مما هم عليه من الكفر والتكذيب
 وأوجب لهم الإيمان واتباع من جاء به، وقال
 تعالى: « بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِعَلِيمٍ » يونس: ٣٩ « أي:
 فلو حصل لهم الإحاطة بعلمه لمنعم من التكذيب
 وأوجب لهم الإيمان. [باختصار من « التوضيح
 والبيان لشجرة الإيمان » ضمن المجموعة الكاملة
 لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي
 (١٠٨/٣ - ١١١).]

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب
 العالمين.

بادية لا يخفى عليه منها شيء، وكذلك إذا أشعر
 قلبه صفة سمعه سبحانه لأصوات عباده على
 اختلافها وجهرها وخفائها سواء عنده من أسر
 القول ومن جهر به لا يشغله جهر من جهر عن
 سمعه لصوت من أسر ولا يشغله سمع عن سمع
 ولا تغلظه الأصوات على كثرتها واختلافها
 واجتماعها بل هي عنده كلها كصوت واحد كما
 أن خلق الخلق جميعهم وبعثهم عنده بمنزلة
 نفس واحدة. [طريق الهجرتين ص ٧٨ - ٧٩].

وقال الدكتور ضياء الدين الحماس: إن التفكير
 الدائم المستمر بأسماء الله تعالى، وفهم معانيها
 يجعل القلب محباً لهذه الذات العظيمة الكاملة
 الجميلة الأسماء، فالقلب مفطور على حب الكمال
 والجمال الإلهي، فالمفكر في هذه الطريق سيشعر
 بمشاعر لا يجد حلاوتها في غيره، فسيعاود
 مرات ومرات حتى يجل الله ويعظمه، ومن يجل
 الله يغفر له فيصفو قلبه ويشعر بالقرب من الله.
 لا أقول قرب مكان، بل مكانة، معرفة ومحبة وفي
 الحديث الشريف: «ومن تقرب إلى الله شبراً
 تقرب إليه ذراعاً، ومن تقرب إلى الله ذراعاً تقرب
 إليه باعاً، ومن أقبل إلى الله ماشياً أقبل الله إليه
 مهوولاً. رواه مسلم.

والله أعلى وأجل، وهكذا تكون العلاقة الرائعة
 الجميلة بين العبد وربّه لينقله من الإيمان إلى
 التقوى فالإحسان. [التفكير في الأسماء طريق
 العلماء (ص: ١٩) ط / دار الهجرة].

٢- ومما يتربى به الإيمان في القلوب: تدبر
 القرآن وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم: فإن
 من صفات المؤمنين أنهم يزدادون إيماناً بسماع
 القرآن وتلاوته، قال تعالى:

« إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ
 عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ » الأنفال: ٢،
 وقال تعالى: « وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيْسَرُ
 زَادَتْهُ هَلِفَةٌ ؕ إِنَّمَا الْآيَاتُ الْكَلِيمَ ؕ ءَامِنُوا بِرَأْسِهِمْ إِيمَانًا وَهُمْ
 يَسْتَكْبِرُونَ » التوبة: ١٢٤، « ولذا ندبنا الله عز وجل
 إلى قراءة القرآن وسماعه وتدبره فقال تعالى:
 « أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرِيقَ الَّذِي كَانُوا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَوْجِدُوا فِيهِ آخِلًا
 كَثِيرًا » النساء: ٨٢.

قال العلامة السعدي - عليه رحمة ربنا العلي
 - [إن المتدبر لا يزال يستفيد من علوم القرآن
 ومعارفه ما يزداد به إيمانه قال تعالى:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا خير خلق الله أجمعين. وبعد:

لا يخفى أننا في زمن فتحت فيه الدنيا على الناس، وكثرت تجاراتهم، وتعددت مكاسبهم، وكثرت صور البيوع التي تحير فيها الناس وكثر فيها التحايل، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه يأتي على الناس زمان ما يبالي الرجل من أين أصاب المال من حلال أو حرام. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يأتي على الناس زمان ما يبالي الرجل من أين أصاب المال من حلال أو حرام» [سنن النسائي ٤٤٥٤، وصححه الألباني].

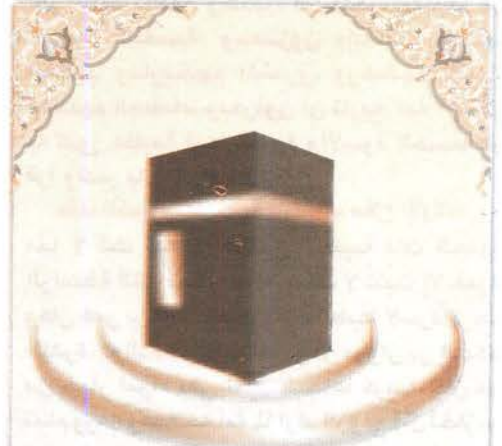
إن العبد الصالح نقي القلب لا يتابع الناس فيما يخالفون فيه هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لم يأكل التمرة؛ لأنه يخشى أن تكون من تمر الصدقة. وقد قال عليه الصلاة والسلام: «أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليقة، وعفة طعمة» [مسند أحمد ٦٦٥٢، وصححه الألباني].

والعبد إذا اطمأن قلبه بربه؛ وفق في تدبير ربه له في أمر رزقه، بين بسطه وقبضه، فهو راض عن ربه، غير متطلع لما في يد غيره، قانع برزقه، واثق في حسن اختيار الله له، لا يتطلع للكسب الحرام، مؤمن ومصدق بقول الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم:

«لا تستبطئوا الرزق، فإنه لم يكن عبد ليموت حتى يبلغ آخر رزق هو له، فاجملوا في الطلب: أخذ الحلال، وترك الحرام» [السلسلة الصحيحة: ٢٦٠٧].

وحذر النبي صلى الله عليه وسلم العبد من أكل الحرام، مبيناً أثاره الضارة على دين العبد وسلامة عبادته، فقال صلى الله عليه وسلم: «أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: «يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا» [المؤمنون: ٥١]، وقال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ» [البقرة: ١٧٢]، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك» [مسلم ١٠١٥].

قال ابن رجب رحمه الله في شرحه لهذا الحديث:



أكل الحلال

وصلاح

الأبناء

عبد العزيز مصطفى الشامي

عدد ١

على الأمة بالنفع والخير، فيتخلص أبناؤها من الهزيمة النفسية، ويعتزون بإيمانهم ودينهم العظيم، وتاريخهم المشرق، ورجالهم النبلاء وقادتهم العظماء، ويعرفون أن تاريخ أمة الإسلام به كنوز عظيمة فيها القدوة والأسوة الحسنة لمن قرأ وتدبر يا أمة (اقرأ)!!!

طبيب الكسب وعفة المطعم من أسباب صلاح الأولاد:

مما لا شك فيه أن الشجرة الطيبة ذات الجذور الراسخة التي تسقى بماء صافٍ لا تنبت إلا خيراً، وكان عمر بن عبد العزيز غرساً طيباً لأسرة كريمة طاهرة، فوالده هو عبد العزيز بن مروان بن الحكم، من خيار أمراء بني أمية، شجاعاً كريماً، كان من تمام ورعه وصلاحه أنه لما أراد الزواج قال لخازنه: اجمع لي أربعمائة دينار من طيب مالي؛ فإني أريد أن أتزوج إلى أهل بيت لهم صلاح، فتزوج أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. رضي الله عنهم جميعاً. وهي حفيدة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. [ابن سعد في الطبقات ٥/ ٣٣١].

إن زواجه من آل الخطاب ما كان ليتم لولا علمهم بحاله وحسن سيرته وخلقه، فقد كان حسن السيرة في شبابه، فضلاً عن التزامه بدينه وحرصه على تحصيل العلم واهتمامه بالحديث النبوي الشريف، فقد جلس إلى أبي هريرة وغيره من الصحابة وسمع منهم، وقد واصل اهتمامه بالحديث بعد ولايته مصر، فطلب من كثير بن مرة في الشام أن يبعث إليه ما يسمعه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ما كان من طريق أبي هريرة فإنه عنده.

من هذا لا بد أن ننتبه إلى أن صلاح الأولاد والذرية مسئولية وأمانة، وأن لهذا الصلاح بعد توفيق الله تبارك وتعالى سببين ظاهرين: أولهما الحرص على الحلال الطيب في المطعم والمنكح، وثانيهما البحث عن الأسر الصالحة الطيبة عند الزواج، ليخرج الله لنا أبناء برة غُذوا بالحلال، ونشأوا عليه وعلى تعظيم الشرع الحنيف، وهذا النبت هو أساس الشجر الوارف الظلال الذي ينتج للأمة ثماراً نافعة، وأطفال اليوم هم قادة الغد. فيا ليتنا ننتبه إلى بداية الطريق الصحيح حتى لا نضل ولا ننسى.

استشهد بقصة الكهف يا شيخ عبد العزيز لأن قصة خلط اللبن بالماء ذكرها علي حشيش في القصص الواهية.

اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك وأغننا بفضلك عمن سواك. والحمد لله رب العالمين.

«وفي هذا الحديث إشارة إلى أنه لا يقبل العمل، ولا يزكو إلا بأكل الحلال، وأن أكل الحرام يفسد العمل، ويمنع قبوله، فإنه قال بعد تقريره: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً» وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: «يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً» وقال: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ»، والمراد بهذا أن الرسل وأمهم مأمورون بالأكل من الطيبات التي هي الحلال، وبالعمل الصالح، فما دام الأكل حلالاً فالعمل صالح مقبول، فإذا كان الأكل غير حلال فكيف يكون العمل مقبولاً؟ وما ذكره بعد ذلك من الدعاء، وأنه كيف يتقبل مع الحرام، فهو مثال لاستبعاد قبول الأعمال مع التغذية بالحرام. [جامع العلوم والحكم، ص ١٠٠].

يجب على من يحرص على دينه إذا التبس عليه أمر بين حل وحرمة أن يسأل إذا لم يعلم، كما كان سلفنا رضوان الله عليهم.

كم تجرأ الكثيرون على الكسب الحرام: عامل لا يؤدي عمله على وجه صحيح، ورب صاحب عمل يقطع من حق أجيره، وموظف لا ينهض بمسؤولية وظيفته، وتاجر يغش في سلعته، ومتجرب على التعامل بالربا، ومتاجر بما يفسد عقول الناس ويدمر حياتهم، والكسب الحرام ينعكس على صلاح الأولاد ضرراً لا نفعاً.

التربية بالقدوة والمثل الأعلى:

مما لا شك فيها أن الحديث عن المثل الأعلى والقدوة الطيبة شيء ضروري في هذه الأيام؛ حتى ينشأ شباب المسلمين مقتدياً بسير العلماء وأهل الفضل والخير من هذه الأمة، ممن جمعوا بين العمل الصالح وحب الخير ونفع الخلق، وحتى يتطلع الجميع إلى مثل عليا حقيقية أثرت في حياة الناس، وغيّرت الاهتمامات والطموحات، فكثير من شباب هذه الأيام لا يجد قدوة له إلا لاعباً مشهوراً أو ممثلاً مغموراً، أو حضارة غربية مفلسة مظلمة، فهؤلاء في حاجة ضرورية إلى أن يروا نماذج مشرقة، ورجالاً نبلاء فضلاء، وما أكثرهم في تاريخ هذه الأمة العريقة التي قد تمرض ولكنها لا تموت!

فبدلاً من تعلق القلوب بأقدام لاعبين أو لاهو اللاهين، وتفريط المفرطين؛ لا بد من إبراز هذه القمم العالية؛ لتكون منارات في طريق الحق والخير يقتدي بها الحيارى، ويصبرون سبيل الحق والخير.

إن إنارة الطريق للشباب الغريق، وبث الأمل في القلوب والنفوس؛ لمن الأعمال الموفقة التي تعود

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإن الفتن إذا أطلت برأسها لا تسال عمن هلك، ولكن سل عمن نجا لكثرة عدد الهالكين بالنسبة للناجين، وفي زماننا قد تعددت الفتن وتنوعت وتلاحقت كأمواج البحر يتبع بعضها بعضاً، حتى إن من سلمه الله منها يُساء إليه بين أصوات الملايين.

ومن أعظم الفتن وأشدّها الشّرك بالله سبحانه، يقول الله عز وجل: « وَقَالُوا هُمْ أَحَى لَا تُكُونُ فِتْنَةً وَيَكُونُ الَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ أَكْبَرُ » [الأنفال: ٣٩]، والمراد حتى لا يكون شرك وكفر، وقال سبحانه: « تَعْلَمُونَ أَنَّ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَقَالَ فِيهِ قُلُوبُ كَثِيرٍ مِّنْكُمْ وَكَانَ فِيهِ لِلَّذِينَ كَفَرُوا حُرْمٌ وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ » [البقرة: ٢١٧]، والفتنة قد يُقصد بها الامتحان والاختبار، قال جل شأنه: « أَلَمْ نَأْمُرْكُمْ وَأَوْفَدَكُمْ فِتْنَةً » [الأنفال: ٢٨] يعني: اختباراً وامتحاناً، وتطلق الفتنة أيضاً على المصائب والعقوبات، قال الله سبحانه: « وَأَتَقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ حَاصَّةً » [الأنفال: ٢٥].

ولخطورة الفتن كان صلى الله عليه وسلم يكثر من الدعاء بالثبات على الدين، كما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: كان صلى الله عليه وسلم يكثر من قول: « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » [الترمذي وصححه الألباني]. وهو القائل صلى الله عليه وسلم: « ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، من يستشرف لها تستشرفه، فمن استطاع أن يعوذ بملجأ أو معاذ فليفعل » [صحيح البخاري].

وقال أيضاً: « هل ترون ما أرى، إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر » [متفق عليه].

وقال أيضاً: « بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويصبح كافراً ويمسي مؤمناً، يبيع دينه بعرض من الدنيا » [صحيح مسلم].

وللخروج من الفتن أسباب يجب على المسلم أن يسلكها حتى يعصمه الله من تلك الفتن:

١- عدم الولوج إلى الفتن والهروب منها،

لا تسأل

عمن هلك . .

سل عمن نجا

أسامة سليمان

اعداد/

والتابعين وكيف واجهوا الفتن وتعاملوا معها وما موقف عثمان رضي الله عنهما منا ببعيد، وكذا ابن عمر وابن عباس وسائر صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن سار على هديهم وتمسك بسبيلهم ، قال سبحانه: «أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَفْقِدُهُ» [الأنعام: ٩٠].

٩- العبادة والعمل الصالح: فإذا أقبلت الفتن وكثرت ينبغي للمسلم أن يقبل على العبادة والطاعة والذكر والاستغفار ، يقول جل شأنه : «وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٧٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٧٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ» [الحجر: ٩٧] ، وقال صلى الله عليه وسلم: «العبادة في الهرج كهجرة إلي» [صحيح مسلم]. والمعنى: أن العبادة في زمن الفتن لها ميزة وفضل وأجر عظيم، يقول ابن رجب رحمه الله : وسبب ذلك أن الناس في زمن الفتن يتبعون الأهواء ولا يرجعون إلى دين فيكون حالهم شبيها بحال الجاهلية فإذا انفرد من بينهم من يتمسك بدينه ويعبد ربه ويتبع مرضيه ويتجنب مساخطه كان بمنزلة من هاجر من بين أهل الجاهلية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤمنا به متبعا لأوامره مجتنباً لنواهيها، والنبي صلى الله عليه وسلم كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة، فالأولى بنا أن نتضرع إلى الله بالعبادة في زمن الفتن.

١٠- العمل بالعلم: وتلك أفة زمن الفتن حيث يخالف كثير من الناس ما يعلمونه وما يلقي على المنابر والفضائيات، فكم سمعنا منهم أحوال منهج أهل السنة والجماعة وإذا بهم يخالفونها في اليوم التالي لقولهم، ففقدوا رضا الله وحازوا سخط الناس في وقت واحد، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

١١- الالتجاء إلى الله حيث لا يضار من احتمى بحماه، ولا يخسر من تقرب إلى مولاه، ولا مخرج من الفتن إلا بصدق اللجوء إليه سبحانه، فهو القادر على تغيير واقع الأمة من العسر إلى اليسر ومن الضيق إلى الفرج ومن الذل إلى العز، يقول سبحانه : «هُوَ الَّذِي يُسَوِّرُكَ فِي الْبَرْحِ حَتَّى إِذَا كُنْتَ فِي أَمْلَاكٍ وَجُزَيْنَ بِحَمْدِ رَبِّكَ قُلْتَ وَقَدْ جَاءَنِيَ رَيْحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أُخِيتْنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّكْرَيْنِ» [يونس: ٢٢] ، وقال سبحانه: «أَمِنْ حَيْثُ أَلْمَضَطَّرُّ إِذَا دَعَا وَكَشِفَ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا نَذْكُرُونَ» [النمل: ٦٢].

والله من وراء القصد.

وذلك بعدم التعرض إليها ، لا سيما عند خفاء الأمر وعدم وضوحه، فمن خاف نجا، ومن أمن هلك، وفي ذلك قال أبو هريرة رضي الله عنه : «تكون فتنة لا ينجي منها إلا دعاء كدعاء الغريق أي بلغ به الخوف من الفتن مبلغ الغريق الذي أوشك على الغرق».

٢- التمسك بالكتاب والسنة هو المخرج من فتنة الشبهات والشبهوات، ففي الحديث: «تكون فتنة». قيل: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله فيه نبا من قبلكم وخبر ما بعدكم وفصل ما بينكم. فالنجاة من الفتن يكون بمعرفة منهج السلف الصالح والتمسك به والثبات عليه ومن سلك سبيلهم من الدعاة العاملين المصلحين.

٣- الرجوع إلى العلماء الربانيين العاملين الذين ما غيرتهم العواطف ولا تدافعتهم أمواج الأهواء وحناجر الهمج الرعاع وإنما ثبتوا على المذنب الحق ودعوا إليه وعملوا به وصبروا على الأذى في سبيله وهم أهل الحديث والفرقة الناجية المرضية أهل السنة والجماعة.

٤- إعلاء راية الدعوة إلى الله والانشغال بها والعمل لرفعتها دون سعي لمكسب مادي أو عرض دنيوي أو منصب زائل ، قال الله سبحانه: «اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْتَلْزِمُكُمْ أَرْجًا وَهُمْ مُتَعَدُونَ» [يس: ٢١] ، وقال جل شأنه : «وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ» [الشعراء: ١٠٩].

٥- البعد عن الفرقة والاختلاف والتحزب وتحقيق الوحدة والاجتماع على المنهج الحق الذي تركه سلف الأمة الصالح دون انحراف، قال صلى الله عليه وسلم : «تركتمكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك» [ابن ماجه وصححه الألباني].

٦- الدعاء : حث كان صلى الله عليه وسلم يتعوذ بالله دبر كل صلاة من الفتن بأنواعها من فتنة المحيا وفتنة الممات وفتنة الدجال وهو القائل: «تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن» [صحيح مسلم]. فإن كان هذا هو حال خير الأنبياء وإمام المرسلين فما بالنا نحن؟

٧- العلم: فالعلم الشرعي عاصم من الفتن، حيث إن العلماء يعرفون الفتنة قبل وقوعها أما أصحاب البدع والأهواء فلا يعرفونها إلا بعد وقوعها، والعلم الشرعي هو حارسك عند ورود الفتن، وما الذي يحدث في بلادنا إلا بسبب تصدر الجهلاء وإن ادعوا العلم ، فكم من مدعٍ لشيء وهو لا يحسنه.

٨- دراسة سيرة السلف الصالح من الصحابة

بنت خويلد

رضي الله عنها

صلاح نجيب الدق

إعداد

مالها وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم ، وكانت قريش قوما تجارا، فلما بلغ خديجة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بلغها من صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه؛ بعثت إليه فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجرا، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار مع غلام لها يقال له ميسرة ، فقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ، وخرج في مالها ذلك، وخرج معه غلامها ميسرة حتى قدم الشام ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظل شجرة قريبا من صومعة راهب من الرهبان فاطلع الراهب إلى ميسرة، فقال له: من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة؟ قال له ميسرة: هذا رجل من قريش، من أهل الحرم، فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي.

ثم باع رسول الله صلى الله عليه وسلم سلعته التي خرج بها واشترى ما أراد أن يشتري ثم أقبل قافلا (عائدا) إلى مكة ومعه ميسرة.

فلما قدم مكة على خديجة بمالها باعت ما جاء به فربحت الضعف أو قريبا من ذلك، وحدثها ميسرة عن قول الراهب. وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة مع ما أراد الله بها من كرامته، فلما أخبرها ميسرة مما أخبرها به بعثت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت له :

الحمد لله، الذي لم يتخذ ولدا، ولم يكن له شريك في الملك، وخلق كل شيء فقدره تقديرا، والصلاة والسلام على نبينا محمد، الذي بعثه ربه هاديا ومبشرا ونذيرا، وداعيا إليه بإذنه وسراجا منيرا.

أما بعد: فإن خديجة بنت خويلد، هي أولى زوجات بالنبي ، وأول من آمن به ، وهي سيدة نساء الأمة الإسلامية على الإطلاق، وهي إحدى نساء أهل الجنة، فأحببت أن أذكر نفسي وإخواني الكرام بشيء من سيرتها العطرة، لعلنا نسير على ضوئها، فنسعد في الدنيا والآخرة.

نسب خديجة رضي الله عنها؛

هي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر.

أمها: فاطمة بنت زائدة من الأصم بن رواحة بن حجر بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر. (سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٦٦).

كانت خديجة، رضي الله عنها، تدعى في الجاهلية الطاهرة. (الاستيعاب لابن عبد البر ج ٤ ص ٢٧١).

زواج خديجة بالنبي صلى الله عليه وسلم؛

كانت خديجة بنت خويلد، رضي الله عنها، امرأة تاجرة ، ذات شرف ومال، تستاجر الرجال في

خديجة: الزوجة العاقلة الرشيدة:

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بَدَأَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، وَحُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، فَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْتِي حِرَاءَ فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ - يَتَزَوَّدُ لَذَلِكَ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَيَتَزَوَّدُهُ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى فَجَاءَهُ الْحَقُّ، وَهُوَ بِغَارِ حِرَاءَ، فَجَاءَ الْمَلِكُ فِيهِ فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ» فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي ثُمَّ بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ» فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ» فَأَخَذَنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: «اقْرَأْ يَا نَسْرَ»

رَبِّكَ أَلَدَى عَلَى [العلق: ١] حَتَّى بَلَغَ **عَلَى الْإِنْسَانَ مَا لَا نَعْلَمُ** [العلق: ٥] «فَرَجَعَ بِهَا تَرْجِفُ بَوَادِرَهُ، حَتَّى دَخَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَ: «رَمَلُونِي رَمَلُونِي» فَرَمَلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرُّوعُ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا خَدِيجَةُ، مَا لِي» فَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ، وَقَالَ: «قَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي» فَقَالَتْ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَلَّا أَيْشَرُ، فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلَ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقَ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلَ الْكُلَّ، وَتَقْرَى الضَّيْفَ، وَتَعِينَ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ» ثُمَّ انْطَلَقَتْ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، حَتَّى آتَتْ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ بْنِ أَسَدٍ بْنِ عَبْدِ الْعَزَى بْنِ قَسِيٍّ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَخِي أُمِّهَا - وَكَانَ أَمْرًا قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ، فَكَتَبَ بِالْعَرَبِيَّةِ مِنَ الْإِنْجِيلِ، مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِن ابْنِ أَخِيكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا ، أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرَجُ قَوْمُكَ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوْ مُخْرَجِي هُمْ؟» قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتُ بِهِ إِلَّا عَوْدِي وَأَوْذِي، وَإِنْ يَدْرِكْنِي يَوْمًا أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَرَّرًا ، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ وَرَقَةُ أَنْ تَوَفَّى، وَفُتِرَ الْوَحْيُ فَتَرَةً، حَتَّى حَزَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

قَالَ ابْنُ شَهَابٍ: وَأَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيَّ قَالَ:

يَا ابْنَ عَمِّ: إِنِّي قَدْ رَغِبْتُ فِيكَ لِقَرَابَتِكَ، وَسَطَنَكَ (شرفك) فِي قَوْمِكَ وَأَمَانَتِكَ وَحُسْنِ خَلْقِكَ وَصَدُقَ حَدِيثِكَ، ثُمَّ عَرَضْتُ عَلَيْهِ نَفْسَهَا، وَكَانَتْ خَدِيجَةُ يَوْمَئِذٍ أَوْسَطُ نِسَاءِ قُرَيْشٍ نِسَبًا وَأَعْظَمُهُنَّ شَرَفًا وَأَكْثَرَهُنَّ مَالًا. كُلُّ رَجُلٍ مِنْ قَوْمِهَا كَانَ يَتَمَنَّى الزَّوْاجَ مِنْهَا، فَلَمَّا قَالَتْ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ذَكَرَ ذَلِكَ لِأَعْمَامِهِ فَخَرَجَ مَعَهُ عَمَهُ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى أَهْلِهَا فَخَطَبَهَا، فَتَزَوَّجَهَا. وَأَصْدَقَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرِينَ بَكْرَةً (بعيرًا). تَزَوَّجَ النَّبِيُّ خَدِيجَةَ وَكَانَ عُمُرُهُ خَمْسَةَ وَعَشْرِينَ عَامًا، بَيْنَمَا كَانَ عُمُرُ خَدِيجَةَ أَرْبَعِينَ عَامًا. وَكَانَتْ خَدِيجَةُ هِيَ أَوَّلُ امْرَأَةٍ تَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ يَتَزَوَّجْ عَلَيْهَا غَيْرَهَا حَتَّى مَاتَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. أَقَامَتْ خَدِيجَةَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمْسًا وَعَشْرِينَ سَنَةً، وَهِيَ أَقْرَبُ نِسَاءِ النَّبِيِّ إِلَيْهِ فِي النَّسَبِ. (سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٦٥: ١٦٦) (الإصابة لابن حجر العسقلاني ج ٤ ص ٢٧٤).

كَانَتْ خَدِيجَةُ قَدْ تَزَوَّجَتْ قَبْلَ النَّبِيِّ بِرَجُلَيْنِ: الْأَوَّلُ: أَبُو هَالَةَ بْنُ زُرَّارَةَ بْنِ نَبَاشٍ التَّمِيمِي. وَالثَّانِي: عَتِيقُ بْنُ عَابِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مَخْرُومٍ. (الاستيعاب لابن عبد البر ج ٤ ص ٢٧١: ٢٧٢)

أولاد النبي صلى الله عليه وسلم من خديجة:

وُلِدَتْ خَدِيجَةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلِّ أَوْلَادِهِ، إِلَّا إِبْرَاهِيمَ، فَمِنْ مَارِيَةِ الْمِصْرِيَّةِ، وَهُمْ بِالترتيب: الْقَاسِمُ، أَكْبَرُ بَنِيهِ (وَبِهِ يُكْنَى)، وَعَبْدُ اللَّهِ، وَيُلَقَّبُ بِالطَّيِّبِ وَالطَّاهِرِ، وَأَكْبَرُ بَنَاتِهِ رَقِيَّةُ، ثُمَّ زَيْنَبُ، ثُمَّ أُمُّ كُلثُومٍ، ثُمَّ فَاطِمَةُ. (الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ١٣١) (وسيرة ابن هشام ج ١ ص ١٦٦: ١٦٧).

إسلام خديجة بنت خويلد:

كَانَتْ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَصَدَّقَتْهُ بِمَا جَاءَهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى، وَوَقَفَتْ بِجَانِبِهِ، تَنَاصَرَهُ، وَتَدَافَعَتْ عَنْهُ بِكُلِّ مَا تَمَلَّكَ، فَخَفَّفَ اللَّهُ بِذَلِكَ عَنْ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَكَانَ النَّبِيُّ لَا يَسْمَعُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَيْئًا مِمَّا يَكْرَهُهُ مِنْ رَدِّ عَلَيْهِ وَتَكْذِيبِ لَهُ إِلَّا فَرَجَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ بِهَا إِذَا رَجَعَ إِلَيْهَا، تَثَبَّتَهُ وَتَخَفَّفَ عَنْهُ وَتَصَدَّقَهُ. وَتَهَوَّنَ عَلَيْهِ مَا يُلْقَى مِنْ قَوْمِهِ. (سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٠٤: ٢٠٥).

خديجة من أهل الجنة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ خَدِيجَةٌ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَأَقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمَنِي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ (قصر) فِي الْجَنَّةِ مِنْ قُصْبِ (اللؤلؤ المجوف) لَا صَخَبَ (الصوت المرتفع) فِيهِ وَلَا نَصَبٍ (التعب). (البخاري حديث ٣٨٢٠، ومسلم حديث ٢٤٣٢).

قال الإمام النووي (رحمه الله) قال السهيلي: استدلل بهذه القصة أبو بكر بن داود على أن خديجة أفضل من عائشة؛ لأن عائشة سلم عليها جبريل من قبل نفسه، وخديجة أبلغها السلام من ربها. (فتح الباري لابن حجر العسقلاني ج ٧ ص ١٧٣).

هدية خديجة للنبي صلى الله عليه وسلم:

كان زيد بن حارثة مملوكاً لخديجة، رضي الله عنها، فلما رأت خديجة حب النبي وميله لزيد، وهبت زيدا له، فكان زيد يدعى زيد بن محمد، حتى نزل قول الله تعالى بإلغاء التبني، ولذا كانت خديجة، رضي الله عنها هي السبب فيما امتاز به زيد بن حارثة من السبق إلى الإسلام. (الإصابة لابن حجر العسقلاني ج ٤ ص ٢٧٥).

غيرة عائشة من خديجة:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: مَا غَرَّتْ عَلَى امْرَأَةٍ مَا غَرَّتْ عَلَى خَدِيجَةَ وَلَقَدْ هَلَكْتُ (ماتت) قَبْلَ أَنْ يَتَزَوَّجَنِي بِنِثْلٍ سَنِينَ لَمَّا كُنْتُ أَسْمَعُهُ يَذْكُرُهَا، وَلَقَدْ أَمَرَهُ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُبَشِّرَهَا بِبَيْتٍ مِنْ قُصْبِ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ لَيَذْبَحُ الشَّاةَ ثُمَّ يُهْدِيهَا إِلَى خَلَائِهَا (أصدقائها). (البخاري حديث ٣٨١٧، ومسلم حديث ٢٤٣٥).

وفاء النبي صلى الله عليه وسلم لخديجة بعد موتها:

(١) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: مَا غَرَّتْ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا غَرَّتْ عَلَى خَدِيجَةَ وَمَا رَأَيْتُهَا، وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يَقَطِّعُهَا أَغْصَاءً ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ، فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةً إِلَّا خَدِيجَةُ، فَيَقُولُ: إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ. (البخاري حديث: ٣٨١٨).

(٢) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: اسْتَأْذَنْتُ هَالَةَ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ أُخْتُ خَدِيجَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَرَفَ اسْتِئْذَانَ خَدِيجَةَ (أي صفته لشبه صوتها بصوت أختها فتذكر

وهو يُحَدِّثُ عَنْ فِتْرَةِ الْوَحْيِ، فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ: بِنَا أَنَا أَشْيَى إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ بَصْرِي، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءِ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَرَعَيْتُ مِنْهُ فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى «تَأْتِيكَ الْمَرْءُ» (١) «فَرَأَيْتُ» (٢) «وَرَبَّكَ وَكَذَلِكَ» (٣) «وَبَيْنَ» (٤) «وَالْأَرْضِ فَأَهْبِزْ» (المذثر: ٥٠) فَحَمِي الْوَحْيِ وَتَتَابَعَ. (البخاري حديث: ٤٠٣).

قوة إيمان خديجة بنت خويلد:

روى الفاكهي (في كتابه: أخبار مكة) عن انس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عند أبي طالب فاستأذنه أن يتوجه إلى خديجة، فاذن له وبعث بعده جارية له يقال لها نبعة، فقال لها: انظري ما تقول له خديجة؛ قالت نبعة: فرأيت عجباً ما هو إلا أن سمعت به خديجة فخرجت إلى الباب فأخذت بيده فضمتها إلى صدرها ونحرتها، ثم قالت بابي وأمي والله ما أفعل هذا لشيء، ولكني أرجو أن تكون أنت النبي الذي ستبعث؛ فإن تكن هو فأعرف حقي ومنزلتي، وادع الإله الذي يبعثك لي. قالت: فقال: لها والله لأن كنت أنا هو قد اصطنعت عندي ما لا أضيعه أبداً، وإن يكن غيري فإن الإله الذي تصنعين هذا لأجله لا يضيعك أبداً. (فتح الباري لابن حجر العسقلاني ج ٧ ص ١٦٧).

خديجة أفضل نساء الأمة مطلقاً:

عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: خَيْرُ نِسَائِهِا مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ وَخَيْرُ نِسَائِهِا خَدِيجَةُ. (البخاري حديث ٣٤٣٢، ومسلم حديث ٢٤٣٠).

قال القاضي أبو بكر بن العربي: خديجة أفضل نساء الأمة مطلقاً لهذا الحديث. (فتح الباري لابن حجر العسقلاني ج ٦ ص ٥٤٣).

خديجة: المرأة الكاملة:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: حَسْبُكَ مِنْ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ وَأَسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ. (صحيح الترمذي للالباني حديث: ٣٠٥٣).

أخي الكريم: أعلم أن لفظة الكمال تطلق على تمام الشيء وتناهيه في باب. والمقصود بالمرأة الكاملة: هي المرأة التي جمعت جميع الفضائل وخصال البر والتقوى. (مسلم بشرح النووي ج ٨ ص ٢١٦) وهذا ينطبق على خديجة بنت خويلد، رضي الله عنها.

والعشير في حياته ووفاته، وإكرام أهل ذلك صاحب. (مسلم بشرح النووي . ج ٨ ص ٢١٧).
(٥) عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: لَمْ يَتَزَوَّجِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى خَدِيجَةَ حَتَّى مَاتَتْ. (مسلم حديث: ٢٤٣٦)

قال ابن حجر العسقلاني (رحمه الله) تعليقا على هذا الحديث: هذا مما لا اختلاف فيه بين أهل العلم بالأخبار وفيه دليل على عظم قدرها عنده وعلى مزيد فضلها؛ لأنها أغنته عن غيرها، واختصت به بقدر ما اشترك فيه غيرها مرتين، لأنه صلى الله عليه وسلم عاش بعد أن تزوجها ثمانية وثلاثين عاما، انفردت خديجة منها بخمسة وعشرين عاما، وهي نحو الثلثين من المجموع، ومع طول المدة فصان قلبها فيها من الغيرة ومن نكد الضرائر الذي ربما حصل له هو منه ما يشوش عليه بذلك، وهي فضيلة لم يشاركها فيها غيرها، ومما اختصت به سبقها نساء هذه الأمة إلى الإيمان، فسنت ذلك لكل من أمنت بعدها فيكون لها مثل أجرهن لما ثبت أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرٌ مِنْ عَمَلِ بَعْدِهِ مَنْ غَيْرَ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ. (فتح الباري لابن حجر العسقلاني ج ٧ ص ١٧١).

وفاة خديجة بنت خويلد:

توفيت خديجة، رضي الله عنها، في رمضان، في العام العاشر من بعثة النبي، أي قبل الهجرة بثلاث سنوات، قبل أن تفرض الصلوات الخمس، ودفنت بالحجون، جبل بأعلى مكة، عنده مدافن أهل خديجة، ونزل النبي صلى الله عليه وسلم في قبرها، ولم تكن صلاة الجنازة قد شرعت في ذلك الوقت، وكان عمرها خمسا وستين سنة. (الاستيعاب لابن عبد البر ج ٤ ص ٢٨٠: ٢٨١).

رَحِمَ اللَّهُ خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ رَحْمَةً وَاسِعَةً، وَجَزَاها عَنِ الْإِسْلَامِ خَيْرَ الْجَزَاءِ.

أسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به طلاب العلم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

خديجة بذلك) فَأَرْتَأَعَ (من الرُّوع بفتح الراء أي فرع والبراد من الفرع لازمه وهو التغير)، لَذَلِكَ فَقَالَ: اللَّهُمَّ هَالَةَ. قَالَتْ: فَغَرْتُ، فَقُلْتُ: مَا تَذَكَّرُ مِنْ عَجُوزٍ مِنْ عَجَائِزِ قُرَيْشٍ حَمَرَاءِ الشَّدَقِينَ (عجوز كبيرة السن) هَلَكْتُ فِي الدَّهْرِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا. (البخاري حديث: ٣٨٢١، ومسلم حديث: ٢٤٣٧).

قال النووي (رحمه الله) قولها: (عَجُوزٌ مِنْ عَجَائِزِ قُرَيْشٍ حَمَرَاءِ الشَّدَقِينَ) معناه: عَجُوزٌ كبيرة جدا حتى قد سقطت أسنانها من الكبر ولم يبق لشدقها بياض شيء من الأسنان إنما بقي فيه حمرة لثاتها. قال القاضي عياض (رحمه الله): قال العلماء: الغيرة مُسَامَحٌ للنساء فيها، لا عقوبة عليهن فيها لما جُبلن عليه من ذلك، ولهذا لم تزجر عائشة عنها. قال القاضي عياض: وعندي أن ذلك جرى من عائشة لصغر سنها وأول شببيتها. (مسلم بشرح النووي . ج ٨ ص ٢١٧).

(٣) عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ أَثْنَى عَلَيْهَا فَأَحْسَنَ الثَّنَاءِ قَالَتْ: فَغَرْتُ يَوْمًا، فَقُلْتُ: مَا أَكْثَرَ مَا تَذَكَّرُهَا حَمَرَاءِ الشَّدَقِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا خَيْرًا مِنْهَا، قَالَ: مَا أَبْدَلَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرًا مِنْهَا؛ قَدْ آمَنْتُ بِي إِذْ كَفَرُ بِي النَّاسُ، وَصَدَّقْتَنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَأَسَّنَنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَبَرَزَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادُ النِّسَاءِ. (حديث صحيح وهذا سند حسن) (مسند أحمد ج ٤١ ص ٣٥٦ حديث: ٢٤٨٦٤).

(٤) عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: مَا غَرْتُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا عَلَى خَدِيجَةَ وَإِنِّي لَمْ أَدْرِكْهَا قَالَتْ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ فَيَقُولُ: أَرْسِلُوا بِهَا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ. قَالَتْ فَأَغْضَبْتَهُ يَوْمًا فَقُلْتُ: خَدِيجَةَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي قَدْ رَزَقْتُ حُبَّهَا. (مسلم . كتاب فضائل الصحابة، حديث: ٧٥)

قال النووي (رحمه الله): قوله صلى الله عليه وسلم (رَزَقْتُ حُبَّهَا) فيه إشارة إلى أن حبها فضيلة حصلت. (مسلم بشرح النووي . ج ٨ ص ٢١٧).

وقال النووي أيضا: تعليقا على هذا الحديث وغيره في فضائل خديجة: هذا كله دليل لحسن العهد، وحفظ الود، ورعاية حرمة صاحب

سارع أخى المسلم وأختى المسلمة

بالمشاركة بجزء من مالك ومن
الزكوات أو الصدقات لنشر
التوحيد من خلال المشاركة في
الأعمال التالية:

طباعة كتيب يوزع مع مجلة التوحيد مجاناً
تتكلف النسخة خمسة وسبعين قرشاً .. يطبع
من كل كتيب مائة وخمسون ألف نسخة.

نشر تراث الجماعة من خلال طبع المجلة
وتجليد أعداد السنة في مجلد واحد وذلك
لعمل كرتونة كاملة ٢٨ سنة من المجلة.

دعم مشروع المليون نسخة من مجلة التوحيد
- نسخة من المجلة لكل خطيب من خطباء
الأوقاف والأزهر تصله على عنوانه.

نحن بانتظاركم .. يمكنكم المشاركة ودعم ذلك
بعمل حوالة أو شيك مصرفي على بنك فيصل الإسلامي.
.. فرع القاهرة حساب رقم ١٩١٥٩٠ باسم مجلة التوحيد.

مفاجأة سارة

الآن

موسوعة التوحيد

ببلاش



- ❖ بشرى سارة لإدارات الدعوة في فروع أنصار السنة بانحاء الجمهورية .
- ❖ الموسوعة العلمية والمكتبة الإسلامية في شتى العلوم ، أربعون عاما من مجلة التوحيد .
- ❖ أكثر من ٨٠٠٠ بحث في كل العلوم الشرعية من مجلدات مجلة التوحيد .
- ❖ استلم الموسوعة ببلاش بدون مقدم ؛ فقط ادفع ٧٥ جنيها بعد الاستلام على عشرة أشهر .
- ❖ من يرغب في اقتنائها فعليه التقدم بطلب للحصول عليها من إدارة الدعوة بالفرع التابع له أو من خلال قسم الاشتراكات بمجلة التوحيد بطلب مزمكى من الفرع .
- ❖ علما بأن نموذج طلب الشراء والإقرار المرفق به من قبل الفرع موجود على موقع أنصار السنة وصفحة الفيسبوك الخاصة بكل من رئيس التحرير وصفحة مجلة التوحيد .
- ❖ هدية لكل من يرغب في اقتناء كرتونة المجلدات عبارة عن فهرس عام للمجلة وفهرس موضوعي يسلم بعد طبعه للفروع والمشاركين .

ومفاجأة أخرى
المجلد الجديد لعام ١٤٣٣ هـ
موجود الآن؛ سارع بالحصول عليه بـ ٢٥ جنيها فقط



23936517